بور سعيد

بوابة التاريخ

محمد الشافعى



لوحة للفنان: كوتان لونج تشوا

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨
مكتبة الأسرة

الأعمال الخاصة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

بورسعيد
بوابة التاريخ

بورسعيد

بوابة التاريخ

محمد الشافعى



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

بورسعيد
بوابة التاريخ

الغلاف
الإشراف الفنى:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

المقدمة

عفواً.. إنتبه قبل أن تقرأ..!

عفوا.. فهذه الأوراق ليست (حواديت) نتسلى بقراءتها ثم نلقيْها خلف ظهورنا.

عفوا.. فقبل أن تقرأ يجب أن تحتشد نفسيا بكل معانى الخشوع والجلال لأنك ستقف بعد قليل أمام آلاف الشهداء والجرحى الذين كتبوا بدمائهم ملحمة الخلود.. وجعلونا من خلال بطولاتهم نعيش مرفوعى الرأس نفخر بالإنتماء إلى هذا الوطن الذى أنجب هؤلاء الأبطال.

إن معركة بورسعيد ١٩٥٦ لم تكن مجرد معركة للدفاع عن (شرف الوطن)، ولكنها معركة فاصلة فى (التاريخ الإنسانى) كله. لأنها تمثل الحد الفاصل بين عصرين فى تاريخ الاستعمار الحديث. عصر استعمار البوارج والدبابات، وفكر القرن التاسع عشر الذى تمثله إنجلترا وفرنسا. وعصر (القفاز الحريرى) الذى يخفى تحته (شفاطات عملاقة) تمتص كل شىء فى خلايا الدول الصغيرة. والذى تمثله أمريكا. ولذلك يجب أن نقف عند

معركة بورسعيد بالرصد والتحليل لكل شيء فيها. وبالطبع فهذه مهمة شاقة لا يمكن أن يتم إنجازها بين دفتي كتاب واحد.

عفوا.. فهذه الأوراق ليست مثيرة وليست للإثارة فهي لن تقدم حيتان الأغذية الفاسدة ولا أباطرة المخدرات ولا جنرالات الفساد ولكنها فقط ستتحدث عن (مجرد أبطال) ضحوا بدمائهم وأجزاء من أجسادهم بل إن بعضهم فُقئت عينيه من أجل شرف الوطن ومع ذلك فالشهداء منهم لم يجدوا التقدير إلا عند الله. أما الأحياء منهم فهم يعيشون بيننا كآحاد الناس. بينما الذين يفقأون عين الوطن والذين يسرقون (الكُحل) من عين الوطن المفقوءة، يعيشون أباطرة وجنرالات كالسيف المسلط على رقاب العباد.

عفوا.. فهذه الأوراق ليست إلا مجرد إعادة قراءة لأوراق التاريخ ولو أننا كنا نجيد قراءة التاريخ لما إنهالت علينا كل هذه الكوارث والنكسات. فأوراق التاريخ تؤكد أن القومية العربية يمكن أن تتحول من مجرد (حلم رومانسى) إلى واقع ملموس وذلك فقط لو خلصت النوايا. وأوراق التاريخ تؤكد أن الشعب قادر على أن يقتل سلبيته ولا مبالاته إذا وجد الرمز والقدوة الذى يحمل الشعلة ويتقدم المسيرة بصدق وإخلاص.

أوراق التاريخ تؤكد أننا كنا مستهدفين ليس فقط لضرب

تجربة عبد الناصر ولكن قبل ذلك بمئات السنين وعلينا أن نقرأ ما حدث لتجربة على بك الكبير، ومن بعده تجربة محمد على باشا أى أننا كنا مستهدفين وسنظل مستهدفين. ومن يستهدفوننا ليسوا أقوياء ولكنهم فقط يستغلون غفلتنا وضعفنا وفرقتنا. وأنهم يملكون الإصرار أكثر منا فأوراق التاريخ تؤكد أن ما فشل موشى ديان فى الحصول عليه فى ٥٦ حصل عليه فى كامب ديفيد.

عفوا.. فهذه الأوراق ليست حواديت للتسلية ولكنها دعوة للغضب من أجل أرواح الشهداء ودماء الجرحى. من أجل البطولات التى أهملناها ونسيناها وكأنها (عورة) يجب أن نسترها. فمن الآن يتذكر عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر. وكل ذلك لأن هذه البطولات تنسب إلى مرحلة تاريخية حاولت المرحلة التى تليها أن تمحوها تماما. فإذا كانت (عادة) تحطيم آثار السابقين عادة فرعونية أصيلة تؤكدها النقوش على جدران المعابد والآثار، فيجب أن نتبرأ من فرعونيتنا فى هذه الجزئية فقط. يجب أن نتعامل مع التاريخ المصرى على أنه (كل) لا يتجزأ. يجب أن نعترف بالفضل لكل صاحب فضل حتى لو اختلفنا معه.

عفوا.. فهذه الأوراق تتحدث عن بورسعيد أرض البطولات

والتضحيات. وطن الشهداء وتاج الفخار المصرى، ولن تتحدث عن بورسعيد الانفتاح والبطاقات التصديرية والتجارة فى كل شىء وأى شىء.

وقبل أن أنهى هذه المقدمة أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنى بجهد لكى يخرج هذا الكتاب إلى النور وهم كثيرون.

وفى البداية أتوجه بشكر خاص إلى (دموعى)، نعم إلى دموعى التى انهمرت كالسيل عندما استمعت فى أحد المؤتمرات الأدبية ببورسعيد، وفى مسرح خال من الجمهور، إلا من عدد يقارب أصابع اليدين، إلى تجارب بعض أبطال بورسعيد فقد أسالت المرارة فى أصواتهم والإحساس بالظلم وعدم التقدير دموعنا. فتحولت دموعى إلى بركان من الثورة والغضب والألم، غمست فيه أقلامى لأكتب هذه الأوراق التى لن ترقى أبداً إلى مستوى ما قدمه أبطال بورسعيد. والشكر الحار إلى كل أبطال بورسعيد الذين احتضنونى كواحد من أبنائهم ولم يبخلوا علىّ بوقت أو جهد وخاصة الأب الإنسان البطل سيد عسران الذى ساعدنى فى مهمتى بالكثير مما يجعلنى عاجزاً كل العجز عن رد بعض جميله ولكنه ومعه كل زملائه وقد حملوا أرواحهم على أكفهم ثم أنكروا ذواتهم عشرات السنين لم ولن ينتظروا من أحد جزاء ولا شكوراً فكل ما قدموه كان لوجه الله والوطن.

والشكر والعرفان لإدارة الهيئة العامة لقصور الثقافة فقد أثبتت بحماسها الدائم والكبير لكل فروع الثقافة الجادة والحقيقية أنها إدارة مستنيرة تؤمن برسالتها فى تفجير كل ينابيع التنوير فى هذا الوطن المبدع.

وفى النهاية أجد لزاما علىَّ أن أقدم شكراً خاصا للسيدة زوجتى فهى شريكتى فى هذا الجهد فإن أصبنا فلها (نصف الأجر) وإن أخطأنا فعلىَّ (كل الوزر).

محمد الشافعى

كفر الشرفا القبلى

فى

١٩٩٦/٥/٢٦

الفصل الأول

بورسعيد.. عبقرية المكان..
الموقع والتاريخ
من العصر الفرعونى.. إلى القرن العشرين

تؤكد كل الشواهد التاريخية على أن مدينة بورسعيد بوضعها الحالى هى الإبنة الشرعية لمشروع قناة السويس، حيث وضعت لبناتها الأولى مع ضربة أول فأس ضربها ديليسبس فى مشروع حفر قناة السويس فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩، ثم تطورت رويداً رويداً حتى أخذت شكل المدينة مع إفتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩.. ورغم هذه البديهيات التاريخية، إلا أن الشواهد التاريخية أيضاً تأبى علينا أن نظن مجرد الظن فى أن الموقع العبقرى لمدينة بورسعيد الحالية لم يلفت أنظار الأقدمين على مر العصور والحضارات، فهذا المكان النموذجى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط لابد وأن يلفت الأنظار، خاصة فى ظل

المحاولات الدائبة والدائمة منذ عهود الفراعنة لإنشاء قناة تربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.. ومن هنا فقد كان هذا الموقع النموذجي مسرحاً لوجود العديد من التجمعات الحضارية التى أخذت شكل المدن فى كثير من الأحيان.. ولكن الثابت تاريخياً أن هذا المكان قد شهد وجود ثلاث مدن كان لها تأثير كبير فى مختلف العصور والحضارات وهذه المدن هى مدينة الفرما – مدينة الطينة – مدينة تنيس..

وسنحاول أن نلقى بعض الضوء على كل مدينة من هذه المدن الثلاث ودرها عبر العصور التاريخية المختلفة.

مدينة الفرما

الفرما إحدى المدن الثلاث لمنطقة بورسعيد قديما طبقا للحدود الإدارية لها، حيث توجد مدينة الطينة شرقاً، وكذلك مدينة تنيس، وكانت الفرما تسمى (بيلوز) ووصل عدد سكانها إلى مائة ألف نسمة.

وذكرت فى التوراة باسم (سين) ومعناها قوة مصر.. وهى أعظم مدن هذه المنطقة خلال فترة حكم الأسر في العصر الفرعونى وتؤكد البرديات الفرعونية على أن ست قد قتل أخاه أوزوريس في هذه المنطقة وعرفت الفرما فى العصر المسيحى باسم (برما أو برمون) وفى العصر العربى الإسلامى أصبح إسمها الفرما، ومكانها اليوم تل الفرما بعد بوربسعيد بعدة كيلو مترات.

وتكتسب الفرما أهمية تاريخية كبيرة. إذ أن بها قبر جالينوس وكان بها مجمع البحرين الذى ذكره القرآن الكريم فى سورة الرحمن (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان).

وكان بها طريق برى يصل إلى جزيرة قبرص، وكانت مفتاح

مـصـر من الشـرق إذ كـانت تشـرف على الطريق القـادم من الصـحراء، وتملك ناصية البحر وكان بها ميناء عظيم يطل على الفرع البيلوزى من النيل لتتوسط بذلك طريق الغزو المشـهور القادم من الصـحراء ناحية الشرق ومن البحر شمالا وهو طريق رفح - العريش - الفرما - القرين - العباسة - بلبيس - عين شمس - بابليون - حصن منف الأمامى عن طريق القوافل وكان الفينيقيون يدخلون مصر بمراكبهم من هذا الطريق الذى شهد تسرب الهكسوس لمصر. وفيما يلى بعض التفصيلات عن مدينة الفرما عبر العصور المختلفة..

الفرما قبل الميلاد

كانت الفرما مدينة عظيمة حيث تقع على الفرع البيلوزى لنهر النيل (داخل حدود بورسعيد الآن) وعلاوة على ارتباطها عبر شاطئها بالبحر المتوسط فقد ارتبطت بالبحر الأحمر عن طريق قناة كانت تربط البحرين وقد شقها سنوسرت الثالث سنة ١٨٨٧ قبل الميلاد واطلق عليها اسم قناة سيزوستريس. فكانت السفن القادمة من البحر المتوسط تسير فى فرع النيل البيلوزى وتتجه إلى الزقازيق ومنها إلى البحر الأحمر شرقا عبر البحيرات المرة التى كانت متصلة به فى ذات الوقت وقد ردمت

هذه القناة وأيضاً فرع النيل البيلوزى عدة مرات.

وقد تولى الفرعون (نحاو) ثم الملك (دار الأول) ثم (بطليموس الثانى) ثم (الإمبراطور تراجان) ثم (عمرو بن العاصى) إعادة حفرها إلى أن ردمها الخليفة (أبو جعفر المنصور)، وأخيراً ردمتها عوامل الطبيعة، وقد روت كتب التاريخ أن مدينة الفرما كان بها أبواب وأن الهكسوس قد أقاموا مدينة ملاصقة لها اسمها (حات أورات) وبنوا عليها القلاع العظيمة والحصون ووضعوا بها حامية قدرها مائتا ألف جندى. وقد اتصلت هذه الحامية بالفرما كما استوطنها اليهود فيما بعد.

وعندما أخرج أحمس الهكسوس من مصر تفرغ لمحاربة كافة الجيوب داخل الوطن. ويذكر بعض الباحثين أن قدوم (أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام) إلى مصر كان حوالى القرن الثامن عشر قبل الميلاد وهو نفس الوقت الذى احتل فيه الهكسوس مصر مكونين الأسرتين ١٥، ١٦ حتى عام ١٥٧٥ قبل الميلاد تقريباً. بل ويؤكد بعض الباحثين على أن هاجر زوجة نبى الله إبراهيم وأم نبى الله إسماعيل جد كل العرب كانت من مدينة الفرما.

فتح الفرس لمصر (الفرما) ٦١٦ ميلادية

في خريف ٦١٦ ميلادية بدأ الفرس استعدادهم لغزو مصر وسار جيش الفرس في غزوه خلال طريق يبدأ عند العريش ثم ساحل البحر إلى الفرما ومنها إلى ممفيس ثم إلى مجمع البحرين عند رأس مصر السفلى ثم إلى الإسكندرية وقد تم احتلال الفرما بلا عناء وقد ضرب الفرس كنائسها الكثيرة وأديرتها ومن الفرما انطلق جيش الفرس حتى وصل إلى الإسكندرية.

فتح العرب لمصر ٦٣٩ ميلادية

يختلف المؤرخون في المدة التي حاصر خلالها الجيش العربي الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص لمدينة الفرما حيث يؤكد البعض أن المدة كانت شهراً واحداً ويؤكد البعض الآخر أن المدة كانت شهرين وكانت الفرما وقتها تقع على تل من الأرض على نحو ميل ونصف من البحر وكان لها مرفأ يتصل بخليج مع البحر وكانت مدينة قوية الحصون فيها كثير من آثار المصريين القدماء وبها كنائس وأديرة وعندما حاصرها المسلمون تملكوا باب المدينة واقتحموه وكان أول من اقتحم المدينة من المسلمين (السميقع بن وعله السبأى) وقد روى

المقريزى وأبو المحاسن أن قبط الفرما قد ساعدوا المسلمين أثناء الحصار وبدخول المسلمين إلى مدينة الفرما صار فى أيديهم معقل يؤمن لهم الطريق المؤدى إلى بلادهم وسبيل الرجوع إذا انزلت بهم هزيمة وقد تأكد عمرو بن العاص أن أى إمدادات سوف تأتيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ستكون عن طريق الفرما ولم يكن معه كفاية من الجند ليترك بعضهم ليحرس المدينة ويؤمنها ولذلك قرر هدم أسوار المدينة حتى لا يستفيد بها أعداؤه من الروم وتؤكد كتب التاريخ على أن اقتحام عمرو بن العاص لمدينة الفرما كان فى يوم ١٣ يناير ٦٤٠ ميلادية أى فى العام التاسع عشر للهجرة وقد أعيد بناء أسوار وحصون الفرما بعد أن استقرت الأوضاع للمسلمين فى مصر.. ومدينة الفرما كان اسمها (بيلوز) نسبة إلى الفرع البيلوزى لنهر النيل ثم كان اسمها بالقبطية (برمون) ثم أسماها العرب المسلمون الفرما.

دخول الأخشيد إلى الفرما فى ٩٤٠ ميلادية

رأى أحمد بن كيغلغ ضرورة تسليم مصر للأخشيد، ولكن المازرانى أبى عليه ذلك فاستعد الجميع للقتال وتم ارسال جيش إلى حدود مصر الشرقية ليمنع دخول الأخشيد إلى الفرما وعلى

أبواب الفرما تقابل رسل المازرانى وابن كيفلغ مع محمد بن طيفح الأخشيد، ومعهم كتاب الراضى بتفويضه أمر مصر إليهما فأمرهم أن يحملوا الرسالة إلي الوزير الفضل بن جعفر الذى كان ينزل فى مدينة الرملة فلما وصل الرسل إليه قبض عليهم وأسرهم وتقدم ابن طفج بجيوشه وخرج أحمد بن كفلغ على رأس جنده ومعه المغاربة بقيادة زعيمهم حبش، وقيل أن عدد هذه الجيوش بلغ ثلاثين ألف جندى، وأنها كانت تسد المنطقة عند الحدود الشرقية لمصر بين جبال سيناء والبحر المتوسط، ويذكر الكندى أن الأخشيدى قد أعد العدة لقتل ابن رائق، كما بعث بأسطوله إلى السواحل الشامية، ثم استخلف الأخشيد على مصر أخاه الحسن، وخرج على رأس جنده فى بداية سنة ٣٢٨هـ - ٩٤٠م. وسار حتى نزل مدينة الفرما وتقدمت طلائع بن رائق، وحدثت بين الفريقين مناوشة ثم سعى فى الصلح بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى.. وبعث الأخشيد بكاتبه على بن محمد بن كلا إلى الرملة للمفاوضة فى الشروط، وتم الصلح على أن تكون طبرية وما فى شمالها من الأرض لمحمد بن رائق، وعاد أخشيد بعد ذلك إلى مصر فى جمادى الأول سنة ٣٢٨هـ

الفرما فى ذمة التاريخ

ذكرنا أن الفرما قد أعيد بناء أسوارها وحصونها بعد أن دمرها عمرو بن العاص.. ولكنها دمرت نهائيا على يد (بلدوين الأول) ملك بيت المقدس أثناء الحروب الصليبية، وكان ذلك سنة ١١١٨ ميلادية.. وهكذا اختفت الفرما نهائيا ولم يبق منها إلا بعض آثارها فقط لتذكر الناس بالمدينة التى شهدت كافة المعارك المصرية مع الآشوريين والفرس وكان لرجالها دور كبير ضد جيوش كسرى والصليبيين والمماليك والاتراك. كما تذكر آثار الفرما شهرة المدينة فى مجالات صناعة الأوانى الفخارية وأدوات الزينة والأقمشة الكتانية، وفى التجارة مع روما وأثينا وجزيرة قبرص وكيريت وإقليم الشام الكبير.. وكان عدد سكانها مائة ألف من أقباط مصر ومن العرب أيضاً من قبيلة بن حرى وهى محطة القوافل الصحراوية، وقد احتلت هذه المدينة موقعاً جغرافيا وعمرانيا كبيرا، جعل نابليون بونابرت يطلق اسمها على العالم الأول الذى كان يرافقه فى حملته على مصر واسماه المونت دى بيلوز، وقد اختير موقع الفرما ليكون نقطة البداية لحفر قناة السويس، ولكن ظهرت بعض العقبات التى جعلت الخبراء يتجهون بنقطة البدء إلى الغرب قليلاً فى الموقع الحالى لمدينة بورسعيد وتصبح الفرما إلى الأبد مدينة فى ذمة التاريخ.

مدينة الطينة

نفذ الفراعنة عملية إتصال النيل بالبحر الأحمر وكان هذا الاتصال من فرع النيل الشرقى المعروف ببحر الطينة أو البحر البيلوزى الذى كانت تقع عليه مدينة عين شمس مقر عبادة رع إله الشمس، وينتهى بحر الطينة إلى مدينة الطينة أو بلوزه من البحر الأبيض شرقى قناة السويس على طرف بحيرة تنيس (المنزلة) التى كانت ممتدة إلى هناك، ومازال اسم سهل الطينة يطلق حتى الآن على ما تخلف من بحيرة المنزلة شرق قناة السويس وشرق مدينة بورفؤاد، وماتزال هناك قرية بلوظة التى حرف اسمها عن بلوز أو بلوزيم (الرومانية).

وقد كانت دلتا النيل قديما من سبعة أفرع، منها الفرع الشرقى واسمه بحر الطينة والبحر البيلوزى، ويبدأ من النيل جنوب موقع القناطر الخيرية قبل الدلتا الحالية. والأرجح أن الخليج المصرى (القاهرة) بعد أخذه من بحر الطينة كان يمر بطريق يقرب كثيراً من مجرى ترعة الإسماعيلية الحالية حيث يصب فى الجزء الجنوبى من بحيرة التمساح أو فى البحيرات

المُرة التى كانت والتمساح والبحر الأحمر متصلة ببعضها وأن بطليموس الثانى أخذ فى نهايته فرعا إلى المدينة القديمة القلزم التي قامت السويس مكانها وأن القيصر (أدريات) مده بالقرب من مأخذه من بحر الطينة إلى مدينة بابليون.

الطينة في عصر الفراعنة

كانت من أعظم مدن مصر حيث تقع على مشارف مدينة الفرما وكانت موضع اهتمام فراعنة مصر فجعلوها إحدى القلاع الحصينة المنيعة، وقد لاقت الأهوال فى الحروب بسبب موقعها، ودافعت بشكل دائم عن مصر.

الطينة تحت حكم الهكسوس

بعد غزو الهكسوس لمصر أصبحوا يحكمون الدلتا، في حين يحكم الفراعنة جنوب مصر. وقد جاء الهكسوس إلى مصر بسبب القحط الذى أصاب الجزيرة العربية وقت انحلال الأسرة الثالثة عشر الفرعونية، واستطاعوا أن يستولوا على السلطة شرقى الدلتا، وأن يكونوا أربع أسر بها بداية من الأسرة الرابعة عشر وحتى الأسرة السابعة عشر، وقد جعلوا من الطينة إحدى حصونهم القوية.

الطينة فى عصر الرومان واليونان والصليبيين

لما كانت مدينة الطينة إحدى القلاع القوية فقد لاقت من الحروب الكثير فى زمن الرومانيين واليونانيين، كما شهدت الكثير من أهوال النهب والقتل، إلا أنها ظلت عامرة حتى أغار عليها الصليبيون وخربوها، فهاجر منها أهلها إلى المدن المجاورة لها.

مدينة تنيس

يعد موقع مدينة تنيس أفضل أنواع الأرض استواءً وطيب تربة وكان فرع النيل يصب من وسطها إلى الموضع المعروف بأشتوم الجميل وكانت تسمى ببغداد الصغرى، وتقع غرب بورسعيد على بعد تسعة كيلو مترات منها.

ويذكر المقريزى أنها سميت تنيس نسبة إلى تنيس بن حام بن نوح، ويقال أيضاً أن الذى بناها هو فليمون من ولد اتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط القدامى وكان بها مائة باب لكبرها وعظمتها وكانت من أعجب المدن حتى أن امبراطور الروم طلب أن يأخذها مقابل مائة مدينة من حدائق دولته ولكن رفض طلبه.

وتذكر إحدى قصص التراث أن تنيس كانت مقسمة بين ملكين من ولد أبرويت بن مصرم، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافراً فأنفق المؤمن من ماله فى وجوه البر حتى باع لأخيه الكافر حصته من تنيس فزاد فيها الزرع وفجر الأنهار والعيون وبنى فيها المصانع واحتاج أخوه إلى بعض ما فى يده فمنعه بل وحقره لفقره فقال له أخوه ما أراك شاكراً لله على ما رزقك

ويوشك أن ينتزع ذلك منك ويغير نعمته عليك فأرسل الله السيل فاغرق كل شىء.

تنيس عصر الأسر (مصر القديمة)

عندما اقتحم الهكسوس البلاد وأقاموا فيها عاصمة لملكهم كان أول ما فعلوه أن اتخذوا الإله المحلى (ست) حاميا لدولتهم وبذلك اعتلى الإله ست عرش الملك الإلهى وقد كان حتى ذلك الوقت أحد الألهة الذين يعدون فى درجة أقل من درجة الإله الأعظم، وبعد طرد الهكسوس من البلاد زالت عنه تلك السيادة الإلهيه على البلاد ومع ذلك بقيت عبادته فى الشمال الشرقى من الدلتا موطنه الثانى قائمة لم تصب بسوء ولابد أن عبادته فى تانيس كانت تذكر بفخار وكبرياء ذلك العصر الزاهر الذى مد فيه هذا الإله سلطانه على البلاد كلها، وذلك عندما انقضت أربعمائة سنة على اعتلائه عرش دولة الهكسوس احتفل القوم بهذا الحادث بمهرجان عظيم تم تخليده فى لوحة أربعمائة السنة الشهيرة، وأقيم العيد فى تانيس صاحبة التاريخ الحضارى القديم الذى يمتد إلى ما قبل التاريخ.

تانيس فى عصر الفتح الإسلامى ٦٤٠م

كانت الأرض التى تغطيها مياه. بحيرة المنزلة الفسيحة إلى ما قبل الفتح الإسلامى بقرن واحد لا تضارعها فى بلاد مصر كلها أرض أخرى فى جودة هوائها وخصبها وغناها حيث كانت ترويها ترع لا ينضب ماؤها فكثرت مزارع القمح والنخيل والأعناب غير أن البحر طغى عليها فأقتحم ما كان يحجزه من كثبان الرمل وكانت المياه تزيد طغيانا عاما بعد عام حتى عمت السهل المنخفض كله ولم يبق إلا عدد من الجزر العالية وكان أعظم ما نجا من قرى تلك الأرض مدينة تنيس الشهيرة وكانت مدينة لها شيء من الاتساع والكبر وذات بناء جميل وتشتهر بصناعة المنسوجات الدقيقة من الكتان، وقد ذكر المسعودى في تاريخه أن ثوباً صنع في تنيس للخليفة عن عرض واحد بلغ ثمنه ألف دينار وكان مصنوعا من خيوط الذهب مخلوطاً بقليل من خيط الكتان، وقد ذكر أيضاً أن تجارة تنيس مع العراق وحده بلغت من ٢٠ - ٣٠ ألف دينار فى السنة الواحدة.

وقد كانت تنيس على جزيرة فسيحة يصل إليها من الجنوب ترعة اسمها بحر الروم، ولعلها كانت بقية فرع النيل التنيسى الذى كان يبلغ الصالحية وكان الاتصال كذلك سهلا بينها وبين الفرما والطينة. وذكر أن تنيس حتى القرن العاشر كان بها

الكثير من الآثار منها مائة وستون مسجداً بكل منها مئذنة عالية، وأيضلً اثنتان وسبعون كنيسة وستة وثلاثون حماماً وكان لها أسوار حصينة بها تسعة عشر بابا مصفحة بالحديد الثقيل، وقد زارها بعد ذلك بقرن الرحالة الفارسى (ناصرى خسرو) فعجب مما رآه من تراثها ورواج أسواقها حيث ذكر أن بها عشرة متاجر وخمسون ألفا من الناس وكانت فى مراسى جزيرتها ألف سفينة، ولم يكن بها أى شىء من الزرع، بل كانت تعتمد في كل أقواتها على التجارة وإلى جانب شهرة المدينة فى صناعة المنسوجات فقد اشتهرت أيضاً فى صناعة السلاح المتخذ من الصلب.

تنيس فى عصر الأيوبيين

حكم صلاح الدين الأيوبى مصر سنة ١١٦٩، ولم يكن بالبلاد من آثار قوتها البحرية الماضية إلا قليل، فالقواعد الأمامية في قبرص وكيريت والتى لعبت دوراً كبيراً فى حماية سواحل البلاد الإسلامية، استولى عليها الصليبيون فى النصف الثانى من القرن العاشر وحل هذا المصير بصقلية أيضاً التي أضحت فريسة للغزاة النورماندين فى أثناء القرن الحادى عشر. وحوالى نهاية هذا القرن صارت الشام مسرحا لغزوات

الصليبيين وعلي الرغم من الجهود التى بذلها الأسطول المصرى زمن الفاطميين فى المحافظة على المدن الساحلية بالشام فإن هذه المدن لم تلبث أن سقطت الواحدة بعد الأخرى في يد الصليبيين وبذلك فقدت مصر قواعدها البحرية مثل عسقلان وصور وعكا .

أنشأ الصليبيون ميناء (أيله) على البحر الأحمر فأصبحوا ينازعون مصر السيطرة على الطرق التجارية وساء الموقف بمعاهدة ١١٥٣ وسقوط عسقلان إذ ترتب على ذلك آثار بالغة الأهمية منها أن المصريين قد خسروا آخر معقل لهم بالساحل وفى عام ١١٥٤ تعرضت تنيس لمهاجمة أسطول نورمانى وفى السنة التالية أغار النورمان على دمياط ثم هاجموا تنيس مرة أخرى وهاجموا أيضاً رشيد وتحالف الصليبيون مع البيزنطيين لبعض الوقت ولكن البيزنطيين فضوا هذا التحالف بل وأخبروا صلاح الدين بما يدبره النورمنديون من حملة لمهاجمة مصر. ووقع الهجوم فعلاً فى أواخر شهر يوليه سنة ١١٧٣ إذ ظهر أسطول ضخم للصقليين أمام الإسكندرية ونفذ إلى الميناء وأنزل الجند والمؤن إلى الشاطئ إلا أن أهل الإسكندرية اندفعوا بكل الشجاعة فأحرقوا ما أنزله العدو وهاجموا جنوده بل اقتحم البعض منهم البحر وراء جنود العدو فأغرقوا وقتلوا عددا كبيراً

من النورمان.

وحاول النورمان أن يردوا هزيمتهم فى السنوات التالية فأغار أسطول صقلى مؤلف من ٥٠ سفينة على تنيس عام ١٧٧٥ واستمر القتال يومين تراجع بعدها النورمان وفى سنة ١١٧٧ جددوا محاولتهم وعاثوا فى تنيس فساداً وقد أدرك صلاح الدين حاجة البلاد لأسطول قوى فرفع راتب البحارة لتشجيع الناس على الخدمة بالأسطول ثم جمع المواد اللازمة لبناء السفن وفى سنة ١١٧٩ صارت البحرية على أتم الاستعداد للقيام بالعمل بعد أن زاد عدد السفن ليصل إلى ٨٠ سفينة منها ستون من نوع (شيني) وهو نوع من السفن يسمى الغراب ويجدف بمائة وأربعين مجدافاً ويحمل الجنود والجدافين. وفى عام ١١٨٠ عقد صلاح الدين اتفاقية هدنة مع ملك بيت المقدس فوجه اهتمامه إلى تدعيم قواته البحرية وأمر بإعادة رسم سور تنيس وإعادته كما كان قديما. وقد أمر صلاح الدين بإخلاء تنيس سنة ١١٩٢ ثم جاء الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر أيوب سنة ١٢٢٧ فهدم حصونها وأسوارها وتركها أطلالا لكى لا يتمكن الصليبيون من الإقامة فيها وهكذا اختفت تنيس نهائيا ولم يعد باقيا منها إلا بعض الآثار وسط البحيرة وبحيرة تنيس هى بحيرة المنزلة الحالية التى يقول عنها العالم العظيم جمال

حمدان (أما بحيرة المنزلة نفسها فلعلها أكبر متحف مائى لبقايا وأطلال القرى والمدن القديمة التى غرقت وبادت تحت سطح مائها ويرى البعض أن كل جزيرة من جذورها التى تعد بالمئات كانت تحمل حلة أو عمرانا ما فى الماضى حين كانت أرض البحيرة كلها حقولا وزروعاً كثيفة وأهم تلك المدن الغارقة تنيس مدينة النسيج العظيمة التي تمثلها الآن بضع جزر تدعى كوم تنيس.

مدينة بورسعيد

ذكرنا فى بداية هذا الفصل أن مدينة بورسعيد بوضعها الحالى هى الإبنة الشرعية لمشروع حفر قناة السويس. وقد بدأت عملية إنشاء المدينة مع أول ضربة فأس ضربها ديليسبس فى يوم ٢٥ أبريل عام ١٨٥٩ وبعد ضربته الأول ألقى ديليسبس خطبة وبعده ألقى أحد القساوسة خطبة أخرى مع وجود بعض رجال الدين المصريين على سبيل التبرك، وكانت الخطب لإقناع المصريين بأهمية المشروع لمصر. وقد جاء ديليسبس ومن معه من الإسكندرية ونزلوا فى منطقة كثبان رملية بها بعض نباتات بسيطة ضمن شريط من الرمل يضيق فى بعض الأماكن ويتسع فى البعض الآخر، وحينما يتسع يبلغ مائة متر وحينما يضيق يبلغ خمسين متراً وهذا الشريط يمتد من دمياط وحتى بحيرة سربونيس (البردويل حاليا) وبين بحيرة المنزلة جنوباً والبحر المتوسط شمالا أى أن المكان عبارة عن جزيرة رملية ولم يكن لها أى اسم ولم يكن يرتاد هذا المكان إلا بعض الصيادين الذين يأتون من قرية الجميل، وذلك للصيد فقط، وكان بعض

الناس يستوطنون هذا المكان فى فصل الربيع..وقد انقسم عمال حفر القناة إلى جزئين الأول يحفر، والثانى يحمل رمال الحفر ليردم البحيرة لأن الموضع الموجود عليه بورسعيد وبورفؤاد الآن كان عبارة عن مياه بحيرة المنزلة وكان الردم يتم أيضا من الكثبان الرملية، والملاحظ أن بورسعيد قد اتسعت على شكل مروحى للجنوب وللغرب، وقد ظلت عمليات الردم مستمرة حتى ظهرت أرض بورسعيد حاليا.

ومع بداية الحفر أتت الشركة الفرنسية التى تولت أعمال الحفر بأكشاك خشبية، وتطورت هذه الأكشاك لتصبح حى (الأفرنج) فى الشرق من شارع محمد على، وقد تم بناء هذا الحى على غرار مدينة مارسيليا فى جنوب فرنسا وهى مدينة مينائية أيضا والخط المعمارى فى حى الإفرنج مازال حتى الآن يأخذ الشكل الأوربى. أما عن الطبقة العاملة فكانت تتخذ من الخيام مأوى لها ومع نمو هذه الطبقة أثناء عملية الحفر التى استمرت عشر سنوات تطورت الخيام إلى أكشاك ثم إلى مساكن فيما عرف بإسم الحى العربى غرب شارع محمد على.

وفى عام ١٨٦٢ قام الخديوى سعيد بزيارة منطقة الحفر وتفقد أعمال شق القناة فى قطار صغير مثل المستخدم فى المناجم وتكلم الخديوى مع العمال وتفقد مراحل العمل.

وقد اجتذب مشروع قناة السويس العديد من المهاجرين من أوربا وخاصة من اليونان، وأخذت الجالية اليونانية فى النمو بعد أن جاء معظمها من جزيرة كاسيوس وفيهم الكثير من خبراء أعمال البحر، وقد عرضوا على ديليسبس أن يطلقوا على المدينة الوليدة اسم (نيو كاسيوس) تيمنا بإسم مدينتهم، ولكنه رفض وقرر أن يطلق على المدينة اسم بورسعيد وفاء للخديوى سعيد الذى أطلق الفرمان الأول بحفر القناة فى عام ١٨٥٤، وهذا رغم أن القناة قد تم افتتاحها فى عهد الخديوى إسماعيل.

وبعد افتتاح قناة السويس أصبحت بورسعيد منقطة جذب للناس من المحافظات التى حولها، وأيضاً من جميع موانى البحر المتوسط، وأصبحت بورسعيد مثل الغرب الأمريكى الملئ بمناجم الذهب.

أما عن ميناء بورسعيد فقد أنشئ مع بداية أعمال الحفر وكان عبارة عن لسان واحد لكى ترسو عليه المراكب المحملة بالمعدات، وقد تطور الميناء مع تطور عمليات الحفر.

الفصل الثانى

قناة السويس

رحلة الحلم والحقيقة والإرادة

أعتقد أن فكرة حفر قناة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر، قد ولدت بعد استقرار الحضارة فى وادى النيل مباشرة، وقد تحولت الفكرة على مدار العصر الفرعونى من مجرد حلم إلى محاولة لتجسيد الحلم ثم إلى حقيقة واقعة. وفيما يلى سنقدم بعض المحاولات الناجحة لشق قناة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر تلك المحاولات التى أسفرت عن وجود قناة تساهم فى عمليات التبادل الحضارى بكل مجالاتها..

قناة سنوسرت الثالث (١٨٧ ١ق.م)

سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو أول من فكر فى ربط البحرين الأبيض والأحمر عن طريق النيل

وفروعة فكانت السفن القادمة من البحر الأبيض تسير فى الفرع البيلوزى من النيل حتى يوباستس (الزقازيق)، ثم تتجه شرقاً إلى تيخاو (أبو صوير)، ومنها عبر البحيرات المرة التى كانت خليجا متصلا بخليج السويس ومنها إلى البحر الأحمر ومازالت آثار هذه القناة واضحة المعالم حتى الآن بمحاذاة المجرى الحالى لقناة السويس بالقرب من جنيفة، إلا أن هذه القناة كثيراً ما ردمت وتجددت فى عصور الفراعنة والرومان.

قناة الملك نكاو الثانى (٦١٠ ق.م)

الملك نكاو الثانى أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وقد فكر فى حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر، وحول هذا الموضوع يقول المؤرخ هيرودوت (القرن الخامس ق.م): «أنجب أبسماتيك ولداً هو بنكوس (نكاو) الذى حكم مصر وهو أول من شرع فى حفر القناة التى تؤدى إلى بحر أروترى (البحر الأحمر). وقد أتم هذه القناة من بعده (دارا الفارسى)، وكان طول القناة يساوى مدى إبحار أربعة أيام، وكان عرضها يسع سفينتين من ذوات ثلاثة صفوف من المجاديف، يبحران جنبا إلى جنب، ويؤتى إليها بالماء من النيل من مكان فوق مدينة يوباستس بقليل (الزقازيق) بالقرب من مدينة باتوموس، وتنتهى

القناة إلى البحر الأحمر، وقد هلك من المصريين أثناء حفرهم القناة فى عهد نكاو ما يقرب من ١٢٠ ألف عامل.

قناة بطليموس الثانى

فى القرن الثالث بعد الميلاد قام بطليموس الثانى (فيلادلفوس ١٨٥م) باستكمال القناة وأصبحت ممتدة من النيل حتى بلدة أرسناو (السويس)، ولكن البيزنطيين أهملوها فطمرتها الرمال.

قناة عمرو بن العاص

عندما فتح المسلمون مصر، أعيد اصلاح القناة وحفرها فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يذ الوالي عمرو بن العاص (٦٤٢م)، ولكنها أغلقت بعد ذلك فى عهد الخليفة (أبو جعفر المنصور سنة ٧٧٥م، ومن ثم أغلق الطريق البحرى إلى الهند وبلاد الشرق وأصبحت البضائع تنقل عبر الصحراء بواسطة القوافل.

وعندما تم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، حدثت خسائر كبير بالإسكندرية وخسائر أكبر للبندقية فى إيطاليا، ونظراً لاتحاد مصالحهما اقترح تجار البندقية على حاكم مصر

أن يشق قناة تصل النيل بالبحر الأحمر ولكن المشروع لم ينفذ. وقد كانت البرتغال وأسبانيا وهولندا وانجلترا سباقين فى استخدام طريق رأس الرجاء الصالح، ولم تستطع فرنسا منافستهم ولم يصرف هذا الطريق الجديد أنظار الفرنسيين عن السويس كأقصر وأحسن طريق، والشغل الشاغل للدبلوماسية الفرنسية منذ أيام لويس الرابع عشر ومن جاء بعده.

لويس الرابع عشر والقناة

رفض لويس الرابع عشر (القرن ١٨) فكرة غزو مصر وشق القناة مخافة قوة مصر، ولكن وزيره كولبير وابنه الماركيز (دى سنلاى) وصفا بالتفصيل مشروع شق قناة فى برزخ السويس تصل النيل بالبحر الأحمر، وأوشكت مساعى فرنسا أن تحصل على موافقة السلطان العثمانى على المشروع، ولكن الحركة القومية المصرية التى قادها علماء الأزهر حالت دون تنفيذ المشروع.

نابليون والحملة الفرنسية والقناة

عند وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ بقيادة نابليون بونابرت أخذت فكرة حفر القناة تسيطر على أذهان

المهندسين الذين رافقوا الحملة، واشترك نابليون بنفسه فى زيارة الصحراء الشرقية ولكن عرب مديرية الشرقية كانوا ينقضون على رجاله ويحدثون بهم خسائر كبيرة. وكان التقرير الذى قدمه المهندسون فى هذا الشأن به عدة أخطاء فنية ولهذا تم صرف النظر عن هذا المشروع بل وأخفقت الحملة فى تحقيق أغراضها وبدأ جلاءهم عن مصر فى بداية عام ١٨٠١م

ديليسبس الأب.. جاسوس

بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عين نابليون أحد جواسيسه قنصلا لفرنسا بمصر، وهو ماثيو ديليسبس (والد فرديناند)، حيث تظاهر بتأييد الحركة الوطنية التى مكنت محمد على من الوصول إلى الحكم ويقول السير أرنولد ولسون وهو ممن أرخوا لقناة السويس أن محمد على عرض مشروعاً لحفر قناة (عام ١٨٣١) تصل القاهرة بالسويس لكن المهندس الفرنسى (لينان دى يلفون) وقع فى خطأ هندسى إذ تخيل أن مستوى البحرين مختلف وأن القناة ستتسبب فى غرق الدلتا فتوقف المشروع.

وفى عصر محمد على أيضاً ظهرت فى فرنسا جماعة اسمها (سلنت سيمونيان) التى كونت جمعية الدراسات الخاصة بقناة

السويس كما أرسلت بعثة استمرت تجهز للمشروع من عام ١٨٣٣ حتى ١٨٣٧ ثم جددت نشاطها عام ١٨٤١، وفى عام ١٨٤٦ ضمت الجمعية خليطاً من المهندسين الإنجليز والفرنسيين والألمان كما دعمتها بالمال بعض الغرف التجارية الأوربية.

وفعلها ديليسبس الابن

وأخيراً جاء دور فرديناند ديليسبس الذى انتهز فرصة تواجده فى مصر كقنصل عام لفرنسا فى الإسكندرية فعرض الأمر على والى مصر، ولم يجد صعوبة فى اقناع سعيد باشا والى مصر فى حفر القناة، وقدم مشروعه فى ١٥ نوفمبر ١٨٥٤، وفى ٣٠ نوفمبر تم إعلان نبأ منحة امتياز حفر قناة السويس، وتم التصديق نهائيا بعد استكمال الدراسات فى ١٥ يناير ١٨٥٦، وفى عام ١٨٥٨ أنشأ ديليسبس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية لكى يتمكن من الحصول على الأموال اللازمة لحفر القناة وفى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ضرب أول فأس على الساحل قرب بلدة (بيلوز) التى أطلق عليها بورسعيد اعترافا بدور سعيد باشا، وقد تم افتتاح القناة رسميا فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ إلا أن سعيد لم يشهد حفل الافتتاح حيث أنه مات قبلها . ولقد أعطى

امتياز قناة السويس لمدة ٩٩ عاما تبدأ من يوم افتتاحها، وكان للشركة الحق فى تشغيلها مقابل إيجارات معينة وتحصيل الرسوم ونسبة مئوية من الأرباح، حيث احتفظت مصر لنفسها بنسبة ١٥٪ من صافي الأرباح وتركت للمساهمين ٧٥٪ وللمؤسسين ١٠٪، وهم الذين أدوا خدمات وقاموا بالدراسات التى ساعدت على نجاح فكرة القناة وقد سجلت شركة قناة السويس فى مصر، وأقامت مكاتبها الرئيسية ومكاتبها الإدارية فى باريس، وكانت الشركة تعتبر القناة على الدوام جزء لا يتجزأ من مصر.

القناة على مائدة اللئام والصراعات

أحس سعيد باشا والى مصر بأنه قد أرتكب خطأ جسيما وغير قانونى عندما وافق على حفر القناة قبل أن يحصل على موافقة السلطان العثمانى رسميا، ولذلك أرسل كتابا فى ١٩ جمادى الآخر ١٢٧٧ هجرية يقول فيه (لست أتحرق شوقا لحفر هذه القناة وكنت قد تعجلت فى إبرام هذه الصفقة، ولو أنى قدرت فى البداية أن المسألة تصل فى نهاية الأمر إلى هذه الدرجة من المتاعب لما سمحت بها ولا قبلتها بحال، ثم أن واجب الولاء والإخلاص كان يحتم على أن أعمل على وقف عملية

التجربة على نحو ما ورد بيانه فى الأمر السامى - الصادر الآن - إلا أنى حائر ومضطرب ولا أقدر على الإسراع إلى وقف العملية خشية أن يؤدى ذلك إلى مشكلات ورفع قضية تعويض وقد بينت لكم اعترافى بأنى تعجلت فى هذا الأمر منذ البداية لأنى بشر يخطئ، ومن العسير أن أخرج نفسى بمفردى من هذا المأزق وإنما يتوقف خروجى منه على الإرادة السنية).

بريطانيا تحارب فى الكواليس

عارضت بريطانيا مشروع حفر القناة فأوعزت إلى سلطان تركيا بألا يوقع والى مصر سعيد باشا أى امتياز إلا بعد أن يحصل على موافقة الحكومة التركية أولا. كما أن بريطانيا أثرت على بنوك المال فيها بعدم الدخول فى هذا المشروع الذى تحيط به الشكوك.

وبالرغم من معارضة انجلترا للمشروع إلا أنها وقفت موقف التربص حيث تركت الحفر يتم ثم كانت تدبر طريقة اختطافها من أيدى أصحابها.

الخديوى إسماعيل وتركة صعبة فى القناة

مات سعيد باشا قبل أن يشهد افتتاح القناة، وجاء بعده إسماعيل فى أوائل عام ١٨٦٣ وكان يعارض المشروع خاصة أن وزارته كانت تضم نوبار باشا الذى كان يعمل لحساب السياسة الإنجليزية، وبدأت معارضة إسماعيل بمحاولة حرمان الشركة من اليد العاملة وأصدر مرسوما بذلك كما حاول إقصاء الشركة والقيام بنفقات حفر القناة ولكنه فشل لأن سلفه سعيد ترك له عدة قيود وهى:

١- إلتزام الحكومة المصرية بتقديم ٤/٥ العمال للشركة.

٢- تملك الشركة الترعة العذبة والملاحة النيلية.

٣- تملك الشركة وبالمجان جميع الأراضى غير المملوكة للأفراد.

٤- سلطة الشركة على الترعة البحرية وضفتيها.

٥- إلتزام الحكومة المصرية بنزع ملكية الأفراد كلما احتاجت الشركة إليهالتنفيذ أعمالها.

ومعنى تلك القيود أن الشركة كانت دولة داخل الدولة. وبعد فترة قصيرة اتفق ديليسبس ونوبار على العمل معاً ضد مصلحة البلاد، وتحولت سياسة إنجلترا لتدعيم المشروع، وأيضاً تبدل موقف الأستانة وبقى إسماعيل بمفرده إلا أنه تمكن من عقد

اتفاقية مع الشركة استردت فيها الحكومة المصرية بعض الأراضى كما استردت ترعة المياه العذبة والأعمال الهندسية التابعة لها كما اشترت تفتيش الوادى بمبلغ ٣٠ مليون فرنك والأهم من ذلك خضوع القناة لرقابة البوليس المصرى، وهذا تأكيد على سيادة مصر وملكيتها للقناة.

ومع أن فرنسا كانت أكبر الدول التى تستخدم القناة، إلا أن اهتمامها ظل مركزاً على النواحى الإدارية والاقتصادية للشركة، أما بريطانيا فكان اهتمامها يتركز على سلامة القناة باعتبارها أقصر الطرق الموصلة إلى الهند والشرق وأكثرها اقتصاداً فى النفقات وكانت القناة تمثل العمود الفقرى للإمبراطورية البريطانية.

احتلال انجلترا لمصر عام ١٨٨٢

فى شهر يونيو عام ١٨٨٢ حدثت بعض الاضطرابات فى الإسكندرية راح ضحيتها عدد من الأوربيين فبادرت بريطانيا بالتدخل، حيث ظهر الأسطول البريطانى أمام الإسكندرية فى يوليو ١٨٨٢، كما ظهرت قوة عسكرية بريطانية أخرى فى بورسعيد لتحتل القناة.

وعقد أحمد عرابى زعيم الثورة مجلساً عسكريا فى أواخر

يوليو ١٨٨٢ للنظر فى أمر القناة وقرر المجلس ضرورة تعطيلها حتى يعجز الجيش البريطانى عن احتلالها. وعلم ديليسبس بهذا القرار فألح على عرابى ألا ينفذه وأكد أنه (يستحيل على الإنجليز أن يدخلوا قناتى).

وإنخدع عرابى بكلام ديلسبس ولم يسمع لنصائح إخوانه الذين أكدوا أن ديليسبس يغرر بهم. وعندما وصلت البوارج البريطانية بورسعيد استمر ديليسبس فى خداع عرابى وكتب يقول له (لا تعمل عملا ما لسد قناتى فإنى هنا ولا تخشى شيئا من هذه الناحية فسوف لا ينزل إنجليزى واحد وأنا المسؤل عن كل ذلك) ورغم كل هذه التأكيدات إلا أن الجيش البريطانى قد استخدم القناة وتقدم من خلالها نحو التل الكبير ثم تقدم حتى دخل القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢. ولو أن عرابى استطاع أن يمنع الإنجليز من استخدام القناة بتعطيل الملاحة فيها لتفادى تقسيم جيشه وحصر الحرب فى إتجاه واحد وهو الإسكندرية ذات المداخل الخطيرة ولكن نجحت خيانة ديليسبس ووضع شركة قناة السويس تحت تصرف بريطانيا وأصبح هناك صرحان استعماريان فى مصر القاعدة الحربية البريطانية الكبيرة فى منطقة فايد وشركة قناة السويس.

وقد أثار التدخل البريطانى من جانب واحد فى مصر فرنسا

مما أدى إلى تدهور العلاقات الفرنسية البريطانية لمدة ٢٢ عاماً إلى أن تم عقد اتفاق ودى بينهما عام ١٩٠٤ ثم طالبت إنجلترا بأن يضم مجلس إدراة شركة القناة عدداً من البريطانين يتناسب مع حصتها فى رأس المال كما أن الشركة أصبحت تعمل فى منطقة موضوعة تحت السيادة البريطانية وهكذا كانت شركة قناة السويس فى أرض مصرية بإدارة فرنسية وتحت إشراف السلطات البريطانية.

معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨

فى أكتوبر ١٨٨٨ عقدت معاهدة القسطنطينة التى وقعت فيها الدول الكبرى (بريطانيا - فرنسا - النمسا - المانيا - بروسيا - إسبانيا - إيطاليا - هولندا) وهى أكثر الدول استخداما للقناة مع الحكومة التركية وثيقة رسمية بحياد القناة وحرية الملاحة لجميع السفن التابعة لجميع الدول وتلقى هذه المعاهدة على الشركة مسئولية تشغيل القناة بلا تمييز فى المعاملة كما تلقى على مصر مسئولية حماية القناة ضد العدوان ومما يذكر أن تركيا قد وقعت المعاهدة نيابة عن مصر إذ أن مصر كانت تابعة للدولة العثمانية فى ذلك الوقت وقد استقلت مصر عن الدولة العثمانية عام ١٩١٤ وحلت مصر بالتالى محل

تركيا فى الحقوق والإلتزامات المقررة فى تلك الإتفاقية وذلك طبقا لقواعد التوارث الدولى فى القانون الدولى.

الحرب العالمية الأولى

أعلنت إنجلترا حمياتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤، وقطعت صلة مصر بتركيا بإعلان من جانب واحد وجعلت مصر وموانيها إقليما محارباً فى جانب الحلفاء ضد تركيا بالقوة وبدون سند قانونى، وبإنهيار الإمبراطورية العثمانية أصبحت بريطانيا تضع يدها على معظم ممتلكاتها، وباشرت إنجلترا الحقوق التى خولتها مصر فى معاهدة القسطنطينية وزادت الأساطيل البريطانية من نشاطها داخل القناة وأصبحت طريق مواصلات للحلفاء أكثر منه طريقا للملاحة العالمية، وجلعت بريطانيا من دلتا النيل معسكراً بريطانياً كما كانت معسكرات الإسماعيلية والقنطرة مأوى للاستراليين والهنود وعلاوة على البريطانيين. وأصبحت بريطانيا مسئولة عن سلامة القناة ورغم اعتراض مصر على ذلك إلا أن الحكومة المصرية وقعت على معاهدة مع بريطانيا تنص على أن تتولى الأخيرة حماية القناة - لمدة عشرين عاماً، وكانت سياسة بريطانيا فى هذه الفترة تعتمد على إغراق العرب بالوعود الكثيرة بالاستقلال، ولكنها لم توف

بوعودها بل إنها وعدت أيضا اليهود بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين، وذلك فيما سمى بوعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧. كما شهدت الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية حركة توطين ما يقرب من نصف مليون يهودى فى فلسطين حيث نجحوا بعد ذلك فى إقامة دولتهم فى ظل حماية الإنتداب البريطانى.

الحرب العالمية الثانية

حينما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) اتجهت مشاعر المصريين إلى جانب أعداء بريطانيا وإلى الألمان أكثر لأن الشعب المصرى ظل ينظر إلى بريطانيا على أنها قوة محتلة سواء كان الاحتلال صريحاً أو مقيداً وعندما توغل روميل فى يناير ١٩٤٢ فى الأراضى المصرية حتى وصل إلى العلمين (على مسافة ٨٠ كم من الإسكندرية) كان الاعتقاد السائد فى مصر أن الجيوش الألمانية والإيطالية ستحررهم من قيود البريطانيين لذا كان التعاطف مع الألمان ضد الإنجليز.

وطوال فترة الحرب العالمية الثانية حولت إنجلترا قناة السويس إلى قطعة وأداة حربية بريطانية ولم يغفل (المحور) أهمية القناة وخطورتها وأن بريطانيا وحلفائها لم يحترموا حرية

الملاحة والمرور فى القناة لذا وجه المحور عدة هجمات جوية ضد القناة التى أصيبت بالألغام من الطائرات والغواصات الألمانية كما تعرضت مدن القناة وبورسعيد والإسماعيلية والسويس للغارات وترتب على ذلك تدهور حركة الملاحة فى القناة واضطرت إنجلترا إلى استعمال طريق رأس الرجاء الصالح.

وقد قدمت شركة قناة السويس خدمات كبيرة وفعالة للحلفاء، فكانت منشآتها ومكاتبها وأجهزتها وورشها فى بور فؤاد تعمل ليل نهار طوال خمس سنوات لحساب بريطانيا ودول الحلفاء.

حرب فلسطين وثورة الغضب

فى نوفمبر ١٩٤٧ صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن عن إنشاء دولة إسرائيل وفى اليوم التالى ١٥ مايو نشبت حرب فلسطين التى شهدت أحداثا غريبة لعل أغربها ما حدث فى القطاع الأوسط، حيث جبهة الجيش الأردنى بقيادة جلوب الإنجليزى الذى توقف عن القتال بعد أن استولى على القدس القديمة لأسباب غير معروفه، وتركت إسرائيل جلوب وجنوده وركزت ضرباتها على القوات المصرية فى الجنوب، وانتهت

محنة الحرب باستيلاء إسرائيل على ٧٧٪ من أرض فلسطين، ومع عودة الضباط المصريين إلى مصر كانت قلوبهم مليئة بالمرارة ضد نظام حكم الملك فاروق والاحتلال الإنجليزى الذى تسبب فى عدم إعداد الجيش المصرى بالقدر الذى يسمح بالوقوف فى وجه إسرائيل.

وتطورت الأحداث وذاد قلق الجيش والشعب المصرى من التواجد البريطانى وبلغت ذروة هذه الاضطرابات فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وهو اليوم الذى نشب فيه حريق القاهرة وتطورت الأحداث سريعة لتنفجر ثورة يوليو العظيمة بقيادة جمال عبد الناصر وليلتحم الشعب مع الجيش على هدف واحد هو القضاء على نظام الحكم الفاسد وطرد الاحتلال البغيض ولتولد قناة السويس من جديد بل لتولد مصر كلها من جديد.

الفصل الثالث

جذور النضال البورسعيدى

تعتمد حركة التاريخ فى معظم فعالياتها على منظومة (التراكم) للأحداث فمن خلال التراكم الكمى والكيفى يحدث التغيير فى أشكال مختلفة قد تأخذ شكل الثورات العسكرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.. إلخ.. كما تستبعد حركة التاريخ فى جريانها إلى حد كبير نظام (الطفرة) فمن المستبعد أن يصبح شعب ما ثوريا بشكل مفاجئ وبلا مقدمات. وإن كانت بعض الأحداث التاريخية تحتم على بعض الشعوب وجود ما يمكن أن نطلق عليه (سرعة التلبية) التى تنبع من النظرية العلمية التى تؤكد بأن (الأخطار) تفجر فى الإنسان طاقات وقدرات عملاقة لم يكن يدرى عنها شيئاً ولا يستطيع استخدامها إلا فى نفس الظروف من الأخطار. وإذا كانت هذه النظرية تؤمن بوجود (الطفرة) إلا أنها تؤكد أيضاً على ضرورة وجود (الجذور)

فالإنسان العاجز تماما لن تفيده أمام الأخطار كل (سرعات التلبية) فى العالم..

ومن خلال الطرح السابق يمكن أن نستوعب تلك البطولات العملاقة التى حققها شعب بورسعيد ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦. فإذا كانت الأخطار قد استدعت كل القدرات العظيمة عند هذا الشعب.. إلا أننا يجب ألا نغفل (الجذور النضالية) عند شعب بورسعيد. فبرغم حداثة الشعب البورسعيدى المرتبط بمدينة بورسعيد إلا أن هذا الشعب هو (جزء منتخب) من الشعب المصرى بشكل عام يحمل داخل (جيناته الوراثية) كل تاريخ النضال المصرى عبر أكثر من سبعة آلاف عام. ومع وجود هذه (الجذور المصرية العامة) فيجب ألا نغفل تلك (الجذور البورسعيدية) بشكل خاص، وسنحاول فيما يلي أن نلقى الضوء على بعض نماذج النضال لشعب بورسعيد منذ إنشاء المدينة وحتى بداية العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦.

فى البدء كان النضال

من المؤكد أن النضال البورسعيدى قد بدأ مع بداية الحفر فى مشروع قناة السويس، فلقد كان ديليسبس وأعوانه لا يهتمون بأى شىء إلا اتمام المشروع ولو على حساب العشرات

بل المئات من القتلى الأبرياء من الشعب المصرى، وقد استعان ديليسبس بالعديد من الأعوان القساة ليساعدوه على إتمام مشروعه، ونذكر منهم الضابط التركى إسماعيل حمدى، الذى استعانت به إدارة المشروع بترشيح من الخديوى ليشرف على العمل فى إحدى مناطق الحفر وهو (نمرة ٦ حالياً)، وبدأ هذا الرجل يسوم المصريين سوء العذاب لإرهاب الناس ومنعهم من التذمر، وخاصة بعد تفشى الأمراض وكثرة القتلى - العمال - وقد قامت عدة ثورات من العمال ضد هذا الطاغية إسماعيل حمدى، ولم تفلح هذه الثورات فى اقتلاع هذا الطاغية، وبعد إنتهاء عملية الحفر تم تكريم هذا الطاغية على جبروته بأن تم تعيينه أول محافظ للمدينة، وفى عام ١٨٦٩ أى مع بداية مشروع القناة كان عدد سكان مدينة بورسعيد عشرة آلاف نسمة فقط، مقسمة بين المصريين وبين الجاليات الأجنبية، وأصبحت المدينة بعد ذلك بؤرة جذب للأجانب حتى أصبح عدد الجاليات الأجنبية أكبر من عدد المصريين فى عام ١٨٨٢ عندما حدث الاحتلال الإنجليزى لمصر.

طابية الجميل والفحامة بطولات لا تموت

عندما بدأ الغزو الإنجليزى لمصر فى عام ١٨٨٢ كان فى استطاعة بورسعيد أن تقضى على هذا الغزو وأن تمنع احتلال الإنجليز لمصر.. ولكن خطأ التقديرات العسكرية للزعيم أحمد عرابى حال دون ذلك. فعندما قرر المجلس العسكرى للثورة العرابية غلق قناة السويس حتى لا يستفيد بها الإنجليز سارع ديليسبس بتقديم كل الضمانات إلى عرابى ليؤكد له بأن الإنجليز لا يمكن أن يستخدموا القناة واستمع عرابى إلى هذه الضمانات الوهمية، وفى النهاية استخدم الإنجليز القناة لتكون أقصر الطرق وأسرعها فى احتلالهم لمصر. ومع ذلك فقد كان للشعب البورسعيدى الكثير والكثير من المواقف النضالية التى ستظل خالدة ونجوماً ساطعة فى جبين التاريخ. وقد تمثلت تلك المواقف فى العديد من صور المقاومة العسكرية والمقاومة الشعبية.. أما المقاومة العسكرية فقد تمثلت فى صمود وبسالة جنود (طابية الجميل) أمام الاسطول الإنجليزى الضخم وظلت هذه الطابية الصغيرة صامدة تدافع وتقاوم وترفض الاستسلام ومما يدعو للفخر أن هذه الطابية كانت آخر أرض مصرية يحتلها الإنجليز فلم يدخلوها إلا بعد أن دخلوا القاهرة ذاتها، ولم يدخلها الإنجليز إلا على جثث جنودها الأبطال. وللأسف

الشديد فقد سقطت أسماء هؤلاء الأبطال البواسل من سجل التاريخ، ولكن عاشت بطولاتهم وستظل حية إلى الأبد.

أما المقاومة الشعبية فقد تمثلت فى امتناع (الفحامة) وهم العمال البسطاء الذين يقومون بتزويد المراكب بالفحم عن تزويد الأسطول الإنجليزى بإحتياجاته من الفحم، ويجب أن نتوقف فى خشوع عند بطولة هؤلاءالعمال البسطاء وذلك لعدة أسباب لعل أهمها أنهم من البسطاء العزل الذين لا يملكون أى سلاح ومع ذلك فهم يتصدون لأكبر امبراطورية فى العالم، ويرفضون التعاون مع أكبر أسطول فى العالم.. وأيضاً لأن هؤلاء العمال البسطاء كانوا يعملون (باليومية) أى يحصلون على أجورهم يوماً بيوم أى أنهم برفضهم التعامل مع الإنجليز فهم يضحون بأرزاقهم المحدودة وبذلك فهؤلاء العمال البسطاء ليسوا أقل وطنية من الجنود الذين حاربوا مع عرابى بل هم يمتازون أكثر بهذا الحس الوطنى والقومى، رغم أنهم لا يحملون سلاحاً وليسوا جنوداً نظاميين فى الجيش بل مجرد عمال بسطاء ملأهم الحس الوطنى فرفضوا التعاون مع الغاصب المحتل حتى ولو فقدوا أرزاقهم البسيطة.

بورسعيد.. القدس التى تحررت!

كانت مدينة بورسعيد قبل ثورة ٢٣ يوليو العظيمة تشبه إلى حد كبير مدينة القدس بعد الاحتلال الإسرائيلى القذر لها .. أى مدينة مقسمة إلى قسمين القسم الراقى والنظيف للمحتل الغاصب، والقسم الفقير والقذر لأصحاب الأرض. فبعد انتهاء عمليات حفر القناة بدأ ديليسبس فى توزيع الأراضى بعد حفل افتتاح القناة فأعطى للأجانب مساحات كبيرة فى (حى الأفرنج) وأعطى للمصريين مساحات صغيرة فى (قرية العرب) أو حى العرب الآن، ولذلك فحتى الآن نجد أن حجم العمارات والشوارع والميادين فى حى الأفرنج أكبر كثيراً من مثيلاتها فى حى العرب، ولم تتوقف التفرقة عند هذا الحد بل أصبح لكل جالية نادى اجتماعى خاص وآخر رياضى وحديقة خاصة وفرقة موسيقية خاصة. وأصبح سكان حى العرب من أصحاب الدخول المحدودة جداً فأنعكس ذلك على كل شىء فى حياتهم مما ولد فى نفوس الناس المرارة والاحساس بالظلم، ومما عمق ذلك أيضاً أن أفضل الوظائف فى شركة القناة كانت للإنجليز ثم للفرنسيين ثم الجاليات الأجنبية الأخرى أما العمالة الرخيصة فكانت للمصريين وكان هذا الوضع يهدف إلى منع أهل البلد من التدخل فى مجريات اقتصاد المدينة لأن الذى يملك يسيطر

والذى يسيطر يحكم.

ولم يتوقف الظلم عند هذا الحد بل إن المحاكم القنصلية قد نشأت أولا فى بورسعيد لحماية الجاليات الأجنبية فكل أجنبى يحاسب أمام قاض من بلده وفى قنصلية تلك البلد. وبعد معاهدة ١٩٣٦ نشأت المحاكم المختلطة وهى هيئة قضائية من المصريين والأجانب وفى أحسن الأحوال كانت أحكام هذه المحاكم تتسم بالمجاملة والتحيز إلى الأجنبى بل امتد الأمر ليصبح نوعاً من التمييز العنصرى، فقد جعلت سلطات الاحتلال طريقاً خاصاً لعمال الفحامة فى ذهابهم وعودتهم إلى أعمالهم، وإذا نسى أحدهم وسار فى شارع آخر غير هذا الشارع تقبض عليه الشرطة وتقدمه للمحاكمة.

بورسعيد تحرق اللنبى فى ثورة ١٩١٩

عندما أنفجر بركان الغضب المصرى خلال ثورة ١٩١٩ كان لبورسعيد نصيب من هذا الغضب، خاصة وأن أهل بورسعيد لم تتوقف مناوشتهم أبداً مع الجاليات الأجنبية وقوات الاحتلال، وقد شارك أهل بورسعيد فى ثورة ١٩ بالعديد من المظاهرات كان أكبرها وأقواها تلك المظاهرة الضخمة التى طافت شوارع المدينة يوم ٢١ مارس ١٩١٩ فقد خرج سكان بورسعيد من

الفحامة والتجار والشباب المتعلم في ثورة شعبية، وتحركوا في شارع محمد على الشارع الذى يفصل الحى العربى عن الحى الأفرنجى فأصيب الإنجليز بالرعب وفتحوا النار على المتظاهرين خوفاً من إقتحام هذه الجموع الثائرة للحي الأفرنجى حيث توجد به شركة قناة السويس وكل الشركات والبنوك والثروات الأوربية وقد سقط سبعة من الأبطال شهداء في ذلك اليوم وجرح تسعة عشر آخرون وقد أطلق أسماء بعض الشهداء على بعض شوارع المدينة مثل شارع عبادى، وهو طالب من شهداء مظاهرة ١٩١٩.

وفى هذه الفترة كان يحكم مصر من قبل الاحتلال اللورد (اللنبى) الذى اشتهر بقسوته وطغيانه، فأراد أهل بورسعيد أن ينتقموا من الاحتلال الإنجليزى على طريقتهم فصنعوا دمية على شكل ضابط إنجليزى له ملامح اللنبى وعلقوها على (صارى طويل) وطافوا بها شوارع المدينة ثم أحرقوها وقد أصبحت هذه العادة إحدى طقوس الاحتفال بشم النسيم في بورسعيد، ومنها انتقلت إلى الإسماعيلية والسويس ودمياط وهكذا تحول غضب البورسعيديين من الإنجليز بعد مظاهرة ٢١ مارس ١٩١٩ إلى طقس شعبى جميل يذكرنا بنهاية كل ظالم وكل طاغية.

والطريف أن ما فعله أهل بورسعيد له جذور إنجليزية ترجع إلى حادثة وقعت فى عام ١٦٠٥ حيث كان هناك ثائر إنجليزى اسمه (جاى فوكس) وقد حاول هذا الرجل أن ينسف البرلمان الإنجليزى بنوابه أثناء وجود الملك فى البرلمان، وتم اكتشاف الأمر فحاكموه وأقاموا له عمودا علقوه عليه وحرقوه حياً، وأصبحت عادة عند الإنجليز أن يحتفلوا بحرق جاى فوكس لأنه حاول الإعتداء على رمز الدولة وهو الملك وتحول الأمر إلى حرق دمية تمثل هذا الشخص البغيض بالنسبة لهم.

النادى المصرى.. التعصب المشروع!

بعد أن فشلت ثورة ١٩١٩ فى تحقيق أهدافها بالقضاء على الاحتلال الإنجليزى لم يتحول هذا الفشل إلى إحباط ويأس ولكنه تحول إلى إصرار أكبر وفى بورسعيد تلفت أهل المدينة من المصريين فوجدوا أنفسهم محاصرين بالعشرات من الأندية الأجنبية للجاليات الأجنبية التى استحلت لنفسها الاستمتاع بكل ما هو مصرى فقرر الوطنيون إنشاء (النادى المصرى)، واختاروا له اسم (المصرى) ليؤكدوا على أنه ليس مجرد ناد يلتقى فيه الأصدقاء يمارسون فيه الألعاب الرياضية، بل هو نادى للوطنية وتأكيداً لهذا المعنى اختاروا اللون الأخضر لزى

النادى وعلمه واللون الأخضر هو لون العلم المصري قبل الثورة وقد ساهم كل أبناء الشعب البورسعيدى فى دعم النادى وتأسيسه وكانت نشأة النادى خلال فترة عصيبة امتدت فيها قيود المحتل لتفرض الحظر على الاجتماعات والمظاهرات وانتشر جواسيس المحتل فى كل الشوارع والمنتديات ومن هنا فقد أصبحت أروقة النادى المصرى أفضل مكان لعقد الاجتماعات الوطنية وخاصة أثناء إجراء المباريات الرياضية، ولقد تعصب المصريون عامة وبورسعيد بصفة خاصة لهذا النادي الذى أصبح رمزاً للوطنية فكان الجميع يضعون أيديهم على قلوبهم إذا لعب المصرى مع أحد الأندية الأجنبية فإذا فاز عمت الفرحة والبهجة كل النفوس، وإذا انهزم عم الغضب والحزن الذى لا يزول إلا بانتصار يشفى الغليل على أى من تلك الفرق الأجنبية. وأصبح النادى المصرى رأس الجسر الذى يعبر عليه كل البورسعيديين إلى آمالهم فعندما ينتصر يوسع كل إنسان على أسرته وعندما ينهزم تعم المرارة. ومن هنا فقد كان التعصب للنادى المصرى فعلاً مشروعاً وجميلاً ونبيلاً على أساس أنه رمز وطنى عظيم وقد استمر التعصب للنادى المصرى حتى الآن من قبل أهل بورسعيد، فهم ينظرون إليه على أساس أنه جزء عزيز من تاريخ مصر. ويجب علينا جميعاً

أن نغفر لشعب بورسعيد عصبيتهم الزائدة وتعصبهم الكبير لناديهم العريق، ويجب أن نرى فى هذا التعصب حباً للوطن وليس مجرد تعصب أعمى لكرة القدم.

خميرة الثورة

من المؤكد أن الشرارة الأولى لثورة يوليو قد اندلعت خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨، ولكن الخميرة الحقيقية للثورة قد تكونت من خلال بطولات الفدائيين فى منطقة القناة التى بدأت أولاً فى الإسماعيلية ثم انتقلت إلى بورسعيد، ليشعر المحتل بأنه يعيش وسط جحيم وليصبح مثل الورقة الذابلة التى اقتلعتها رياح ثورة يوليو. وقد نفذ فدائيو بورسعيد العديد من العمليات الفدائية ضد قوات الاحتلال الموجودة فى معسكرات الإنجليز بالمدينة وقد حققت هذه العمليات نجاحات كبيرة وبثت الرعب والفزع فى قلوب جنود الاحتلال.

الفصل الرابع

مؤامرة العدوان الثلاثى..
القضاء على مصر.. أم استرداد القناة..؟

لم يكن قرار تأميم قناة السويس هو السبب الوحيد لإنفجار براكين الحقد والغضب الإستعمارى ضد مصر.. ولكن تلك البراكين قد انفجرت فى عصبية نتيجة السياسة التحررية التى انتهجتها مصر منذ قيام ثورة يوليو تلك السياسة التى نادى بها الزعيم جمال عبد الناصر وعمل بها وسار على هديها والتى تمثلت فى ثلاثة خطوط رئيسية هى:

- محاربة الاستعمار وعملائه سواء فى الداخل أو الخارج.
- انتهاج سياسة الحياد الإيجابى وعدم الإنحياز ونبذ الأحلاف العسكرية.
- بعث القومية العربية والدعوة إلى الوحدة العربية الكاملة الشاملة من الخليج إلى المحيط.

محاربة الاستعمار

منذ أن قامت ثورة يوليو جعلت أهم أهدافها القضاء على الاستعمار وأعوانه فى الداخل والخارج، وأعلن جمال عبد الناصر قائد الثورة ذلك بأكثر من طريقة حيث قال (إننا نعلنها عالية مدوية يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده).

وقد تبلورت سياسة مصر الثورة فى محاربة الاستعمار فيما يأتى:

١- الجلاء عن أرض الوطن وما صاحب ذلك من المقاومة الفدائية فى منطقة القناة.

٢- القضاء على أعوان الاستعمار وعملائه فى الداخل.

٣- محاربة الاستعمار وعملائه فى الخارج وذلك بشد أزر الحركات التحررية فى الشعوب المستعمرة.

الجلاء عن أرض الوطن

عندما قامت ثورة يوليو كان من أهم نتائجها اتحاد الشعب والجيش فى معركة التحرير والجلاء. ورأي الإنجليز ن اتحاد هاتين القوتين قد جعل وجودهم فى أية بقعة من أرض مصر

أمراً مستحيلا وأدركوا أنه لا مناص لهم من الجلاء عن منطقة القناة وفى خطابه التاريخى الذى أعلن فيه تأميم قناة السويس قال عبد الناصر. (بدأ الكفاح فى القناة فقد حدث فى القناة قتال مرير مات فيه أناس كانوا يؤمنون بالنصر وبحرية مصر. أناس ذهبوا إلى القناة ليكافحوا وليقاتلوا واستطاعوا أن يجعلوا القوة الإنجليزية التى كانت تبلغ ٨٠ ألف جندى فى القناة لا تحمى الشرق الأوسط أو تحمى القناة ولكنها لا تستطيع حتى حماية نفسها. استطاعوا أن يجعلوا هذه القوة موجودة لتدافع عن وجودها. ذهبوا ليذيقوا قوات الاحتلال كل صنوف العنف والقوة واستطاعوا أن يجعلوا هذه القوة تقف آخر الأمر لتعلن إنه لا يمكن أن توجد فى بلد معاد. وهذا هو السبب الأساسى فى الوصول إلى اتفاقية الجلاء. الكفاح والعرق والدماء والجهاد والاستشهاد وخرجت إنجلترا من مصر وهى تؤمن بأن لا وجود لها فى مصر لأن شعب مصر قد استيقظ وآلى على نفسه أن يحقق لها الحرية والحياة.).

كما أن أنطونى إيدن وزير خارجية بريطانيا عند توقيع اتفاقية الجلاء قال: (إن الجلاء عن قاعدة قناة السويس أفضل بكثير من الابقاء على ثمانين ألف جندى يحاصرهم شعب معادلهم).

وكانت الثورة بعد قيامها مباشرة قد أنشأت فرعاً جديداً بجهاز المخابرات أسمته (فرع بريطانيا) كانت مهمته الحصول على المعلومات عن الجيش البريطانى فى القناة من حيث تشكيله وعدده وتسليحه وتنظيمه وتحركاته وتقارير مخابراته كما كان من مهام هذا الفرع منع الإنجليز من الحصول على أية معلومات مع القيام بأعمال مختلفة داخل المعسكرات من خطف ونسف وسلب معدات بقصد إزعاج القوات، وأخيراً شن الحرب السيكولوجية على القوات البريطانية عن طريق الإشاعات والمنشورات والإذاعة من محطة خاصة، وقد ذهل الإنجليز من هذه المقاومة البطولية فأدعوا أن الخبراء الألمان هم الذين ينظمون حركة المقاومة.

وقد نجحت المقاومة فى التأثير على نفسيات الجنود وخلق حالة من القلق وعدم الاستقرار والخوف واليأس وفقدان الثقة وقد انتقل هذا التأثير إلى القادة والرؤساء والساسة، وانتهى الأمر بالقوات الإنجليزية وهى فى وضع لا تحسد عليه فرغم وجود ٨٠ ألف جندى موزعة على ١٥ فرقة عسكرية، ١٥ سرب طائرات والأسطول البحرى الملكى فى شرق البحر المتوسط إلا أن كل هذه القوات قد أصبحت أسيرة الرعب والفزع فوافقت إنجلترا على إجراء محادثات الجلاء التى بدأت فى ١٧ أبريل

١٩٥٣ وتم الإعلان فى ٢١ يوليو ٥٤ أنه قد تم الوصول إلى اتفاق مبدئى على جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس فى خلال عشرين شهراً على أن يقوم المدنيون الإنجليز بصيانة القاعدة مع تهيئة القاعدة للعمل وعودة القوات البريطانية فى حالة وقوع هجوم مسلح من أى دولة على إحدى دول الجامعة العربية أو تركيا وأن تجلو هذه القوات بعد ذلك فور وقف القتال.

وفى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ تم توقيع الاتفاق المصرى البريطانى بين عبد الناصر وأنتونى هيد وزير الحربية البريطانى وفى ١٣ يونيو ١٩٥٦ غادر البلاد آخر جندى بريطانى قبل الميعاد الرسمى المحدد بخمسة أيام. وفى هذا اليوم أغلقت صفحة الاحتلال البريطانى لمصر والتى حاولت انجلترا فتحها من جديد أثناء العدوان الثلاثى، ولكن قدر لها أن تكون عودتها فى هذه الحرب سبباً فى القضاء على البقية الباقية لها من امتيازات اتفاقية الجلاء.

موقف إسرائيل من اتفاقية الجلاء

استقبل زعماء إسرائيل نبأ نجاح مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا بحزن شديد، حيث أن ذلك يعنى إزالة الحاجز المتين للقوات البريطانية على طول قناة السويس بين القوات المصرية

والإسرائيلية كما أنه يعنى أيضاً ازدياد شعبية عبد الناصر.
ولكى تمنع إسرائيل ذلك وضعت مخابراتها خطة شن عدة عمليات سرية ضد المنشآت البريطانية والأمريكية فى مصر الهدف منها إظهار حكومة عبد الناصر ضعيفة لدرجة أنها لن تستطيع حماية قناة السويس إذا انسحب البريطانيون منها.
وبالفعل قام مجموعة من خمسة يهود بقيادة (إيلاد) الضابط السابق فى الجيش الإسرائيلى في ١٤ يوليو ١٩٥٤ بنسف مركز المعلومات والثقافة الأمريكى فى القاهرة والإسكندرية ثم تلا ذلك فى ٢٣يوليو القيام باشعال بعض الحرائق فى محطة السكة الحديد الرئيسية وفى مدخل دارين للسينما بالقاهرة والإسكندرية كان يمتلكهما بعض الإنجليز، وقد نجحت المخابرات المصرية فى كشف المؤامرة الإسرائيلية، وتم ضبط كل أفراد الشبكة الإسرائيلية التى قامت بهذه الأعمال. وكانت إسرائيل تأمل أيضاً أن تحصل على الأقل على بعض الامتيازات من خلال المباحثات على أساس موافقة مصر على فتح قناة السويس أمام السفن الإسرائيلية.. إلا أن الأمر إزداد سوءاً بعد غلق مضايق تيران فى البحر الأحمر والتى تتحكم فى المرور إلى ميناء إيلات والذى يعتبر طريق إسرائيل الوحيد المفتوح إلى المحيط الهندى وأسيا.

القضاء على أعوان الاستعمار فى الداخل

أعلنت الثورة حرباً شعواء لا هوادة فيها ولا مهادنة على الاستعمار فى جميع صوره وأشكاله وألوانه وكان من الطبيعى أن تتعقب الثورة فى الداخل أعوان الاستعمار من الخونة الذين لا يخلو منهم بلد من البلدان، وأن تضرب على أيديهم بيد من حديد حتى لا يجد الاستعمار فيهم أعوانا لهم، فكان من الطبيعى أن تحاكم الثورة أعوان الاستعمار سواء كانوا يتعاملون مع الاستعمار قبل الثورة إو بعدها فحاكمت من كانوا يتجسسون لمصلحة الإنجليز على الفدائيين فى القناة عامى ٥١ , ٥٢، أو المشتركين فى تعذيبهم وحكمت عليهم بأقسى العقوبات، ونذكر من هؤلاء العملاء محمود صبرى المعروف باسم (كنج صبرى)، وأحمد سيد أحمد المعروف بحسن قدرى، وإبراهيم إسماعيل على وألفريد عوض ميخائيل ومحمود شكرى ومحمد عزت وبولس مكسيموس سويحه، وشارل بولس يوسف وحسن عزت العدوى وأحمد محمد عوض وقد حكم على بعضهم بالإعدام والبعض الآخر بالأشغال الشاقة لمدد بين ١٥ –١٠ سنوات. وقد استاءت الدوائر البريطانية من محاكمة من تعاونوا مع الإنجليز ولامت الحكومة البريطانية على أنها لم تنقذ حياة الخائن كنج صبرى وقالت بكل جرأة: إن الحكومة البريطانية

مسئولة عن أرواح المصريين الذين عملوا مع الجيش البريطانى فى منطقة القناة.

محاربة الاستعمار فى الخارج

لم تتوان مصر الثورة عن التنديد بالاستعمار وعملائه واستنكار التفرقة العنصرية فى البلاد التي تقع تحت سيطرة الاستعمار ومناطق نفوذه. فآزرت الثورة شعب الجزائر فى كفاحه المرير ضد الاستعمار الفرنسى وأعلنت مصر مع دول مؤتمر باندونج أن الاستعمار فى جميع مظاهره شر ويجب وضع نهاية عاجلة له كما أعلن المؤتمر تأييده لقضية الحرية والاستقلال وتقرير المصير وتأييده لحقوق فلسطين العربى وموقف أندونيسيا فى قضية إيريان الغربية، وموقف اليمن فى قضية عدن والمناطق الجنوبية.

ولذلك لم يكن غريبا أن تستهدف فرنسا من العدوان على مصر أن تثأر لنفسها من مؤازرة مصر لثورة الجزائر، ويقول راندولف تشرشل فى مقالاته عن حرب السويس: (إن المسؤلين فى فرنسا حبذوا العدوان لأن سيطرة فرنسا على شمال أفريقيا كانت قد بدأت تتدهور من جراء تعضيد القاهرة لشمال أفريقيا ومدها بالسلاح والمال والدعاية).

وعندمـا فـقـدت فـرنسـا نفـوذهـا فـى تونس والمـغـرب بعـد حـصـولهـمـا على الاسـتـقـلال تمـسكت بـالجـزائـر ولكن الثـورة الجـزائرية التى بدأت في عـام ٥٤ اتخـذت من القـاهرة مـقـراً لقيادتها كـمـا كانت مصـر تمد الثوار بالسـلاح والدعم المـعنوى، ولما فشل الفرنسيون فى إخماد الثورة الجزائرية رغم وجود ما يقرب من نصف مليون جندى فرنسى فى الجـزائر، ادعـوا أن مصر هى التى تشعل ثورة الجزائر، ولذلك وجه الفرنسيون حملة كراهيـة مركزة فى شـخص عـبد الناصر وادعت أن حل مـشكلة الجـزائر لن يكون إلا فـى القـاهرة، فلو انهـار نظام الحكم فى مـصـر فـإن النصـر فى الجـزائر سـيكون حليف فـرنسـا ولهـذا السبب كان انضمام فرنسا إلى دول العدوان الثلاثى.

ولم تقتصر محاربة مصر للاستعمار فى الخارج علي الجزائر فـحسب بل شـملت كل وطـن عـربى واقـع تـحت وطـأة الاسـتـعـمـار فوقـفت مـصـر وراء المكافـحين فى عـمـان وفى الجنوب العربى. فكان من الطبيعى أن يفـزع الاسـتـعـمار فـزعـاً شـديداً وأن ينتقم لنفسه بالعدوان على مصر فى محاولة للقضـاء عليـها فـهـى القلب الذى إذا مات مات الجسد.

سياسة الحياد

لقد انتهجت مصر الثورة سياسة الحياد انطلاقا من مصالحها وموقعها الجغرافى والتاريخى وتعنى هذه السياسة أن تظل مصر دولة مستقلة استقلالاً تاما لا تنحاز إلى أى من المعسكرين الشرقى أو الغربى ولا تتلقى الأوامر والتوجيهات من أية دولة أجنبية وأن تكون علاقاتها الخارجية بالدول الأخرى علاقة ود وصداقة قائمة على تبادل المنافع والروابط الودية وألا ترتبط بالأحلاف العسكرية الأجنبية ولا تستهدف فى سياستها وعلاقاتها بالدول الأخرى إلا مصلحتها ولا تستوحى فى هذه السياسة إلا ضميرها وما يحقق التعايش السلمى ويدعم السلام العالمى.

وقد كان من الطبيعى أن تغضب القوى الاستعمارية من إنتهاج مصر لهذه السياسة وأن تفسرها أمريكا بأنها بمثابة نافذة تطل منها الدول الشيوعية على منطقة الشرق الأوسط وأن ترى إنجلترا فيها تحديا سافراً لها وخروجاً على طاعتها وتوجيهاتها التى طالما مارستها وأملتها فى السابق وأن تعتبرها تهديداً لمصالحها ونفوذها وحطا من هيبتها فى منطقة الشرق الأوسط وأن تلمح فرنسا فيها مؤازرة ومساندة لثوار الجزائر وأن ترى فيها إسرائيل ما يهدد كيانها ووجودها.

وقد كان من أهم مظاهر تمسك مصر الثورة بسياسة الحياد ما يلي:

نبذ الأحلاف العسكرية

حاولت أمريكا وانجلترا منذ عام ١٩٥١ أن تضما مصر إلى المعسكر الغربى فتقدمتا إليها مع فرنسا وتركيا بمشروعات للدفاع المشترك وعرضت هذه الدول على مصر الانضمام إلى الحلف المعروف بمنظمة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ورفضت مصر وعاودت هذه الدول المحاولة مرة أخرى بعد الثورة فحاولت خلال مباحثات الجلاء إدخال مصر فى مشروعاتها العسكرية نظير الجلاء عن منطقة القناة ولكن مصر صممت علي موقفها من نبذ الأحلاف العسكرية رغم كل أنواع الضغط والتهديد. وأمام موقف مصر الصلب فكرت هذه الدول فى طريقة تمكنهم من عزل مصر عن العالم العربى حتى تبقى بمفردها ثم تجبر آخر الأمر على الإذعان لهم فعملوا على ضم دول عربية أخرى فتدخلت مصر وأعلنت لكل البلاد العربية أن المصلحة العربية لا تتحقق إلا بالقواعد الآتية:

١- رفض الأحلاف العسكرية.

٢- توحيد السياسة العربية الخارجية.

٣- تحويل الضمان العربى الجماعى إلى حقيقة واقعة بتدعيمه من الدول العربية نفسها.

٤- تدعيم الجامعة العربية وإتاحة جميع الإمكانات التى تجعلها جديرة بمكانتها لدى الشعوب العربية وتكفل للعرب جمع كلمتهم..

[ما أحوج العرب الآن ونحن فى عام ١٩٩٧ إلى قراءة تلك البنود الأربعة والتمسك بها وتنفيذها للخروج من حالة التردى والانهيار العربى على يد إسرائيل وأمريكا]

ونعود إلى سياق الأحداث لنجد أنه رغم الجهود المصرية، فقد تم الإعلان عن اتفاق العراق وتركيا على توقيع الميثاق المعروف بحلف بغداد، وأعلن نورى السعيد رئيس وزراء العراق تصميمه علي توقيع الحلف مهما كان موقف الدول العربية ،وتم التوقيع بالفعل فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥، ثم انضمت بريطانيا إلى الحلف فى إبريل ٥٥ وتبعتها باكستان فى يوليو ٥٥ وأخيراً إيران فى نوفمبر من العام نفسه، وباركته أمريكا فانضمت إلى لجنته الاقتصادية ولجنة مقاومة النشاط الهدام، ثم انضمت إلى لجنته العسكرية فى يونيو ٥٧، وجرت محاولات لضم الأردن ولبنان ولكنها فشلت. واستمرت مقاومة مصر ضد الأحلاف العسكرية، وقال الرئيس عبد الناصر (أن مجرد تفكير أى بلد

عربى فى الانضمام إلى حلف تركيا باكستان هدم لوحدة الدول العربية وربط لهذا البلد بعملية الاستعمار الإنجلو أمريكى لأن هذا الحلف إنما هو فى الحقيقة موجه ضد الجامعة العربية) وقد نجحت جهود مصر فى إفشال وإسقاط هذا الحلف،

مؤتمر باندونج

يعتبر مؤتمر باندونج الذى انعقد فى الفترة من ١٨ - ٢٤ أبريل ١٩٥٥ من ٢٩ دولة مستقلة من أسيا وأفريقيا من أهم الأحداث فى تاريخ القارتين، واستمد هذا المؤتمر أهميته بالنسبة لمصر من أنه أول مؤتمر رسمى بعد الثورة يرتفع فيه صوت مصر عاليا مناديا . بحقوق الشعوب فى الحرية والاستقلال فضلاً عن ظهور الملامح الأساسية لسياسة مستقلة فى سياستها وداعية إلى حرية الشعوب ومنددة بالاستعمار وقد قال الزعيم الهندى نهرو فى أول خطاب له بعد باندونج: (إن النجاح الذى أحرزناه فى مؤتمر باندونج يعتبر إلى حد كبير نجاحاً شخصياً لرئيس وزراء مصر جمال عبد الناصر).

وقد تعرض مؤتمر باندونج لهجوم عنيف من جانب الصحافة الغربية والأوساط الاستعمارية حتى قبل أن يبدأ بأشهر طويلة ووصفوه بأنه (نذير شؤم) ومع ذلك فقد حقق المؤتمر نجاحاً

عظيماً وأرسى مبادئ هامة فى محيط السياسة الدولية من أجل الحرية والمساواة والسلام والتعايش السلمى بين الأمم فضلاً عما قرره فى مجال التعاون الثقافى والاقتصادى بين الشعوب الأسيوية والأفريقية.

مؤتمر بريونى

بعد باندونج جاء مؤتمر بريونى امتداداً له فقد انعقد هذا المؤتمر فى ١٨، ١٩ يوليو ٥٦ تثبيتا وتأكيداً لسياسة الحياد واجتمع فيه ثلاثة أقطاب يدينون بهذه السياسة وهم: جمال عبد الناصر رئيس مصر، ونهرو رئيس الهند، وتيتو رئيس يوغسلافيا.

اعتراف مصر بالصين الشعبية

لقد كان اعتراف مصر بالصين الشعبية فى ١٦ مايو ٥٧ نتيجة منطقية لما أسفر عنه مؤتمر باندونج من نتائج ومبادئ تتمثل فى الحياد وعدم الانحياز ونبذ الأحلاف العسكرية، وقد كان هذا القرار صفعة موجهة إلى أمريكا مما آثارها فغضبت غضباً شديداً كان من أسباب سحبها تمويل مشروع السد العالى اعتقاداً منها أن فى ذلك عقوبة لمصر على هذا الاعتراف.

كسر احتكار السلاح

صفقة الأسلحة التشيكية

كان هدف إقامة جيش وطنى قوى من أهم أهداف ثورة يوليو بعد أن ظل الجيش المصرى طوال عهد الاحتلال الإنجليزى منذ سنة ١٨٨٢ عالة على بريطانيا فى تزويده بالسلاح واستمر الحال كذلك بعد معاهدة ١٩٣٦، وعندما دخل الجيش المصرى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ امتنعت إنجلترا عن تزويده بالسلاح والذخيرة. فلما قامت الثورة واستهدفت إقامة جيش وطنى قوى اتجهت أولاً إلى دول المعسكر الغربى للحصول منها على الأسلحة الثقيلة، فاشترطت تلك الدول شروطا تتنافى مع استقلال وكرامة البلاد، إذ كانت ترمى إلى أن ترتبط مصر بدفاع مشترك معها كما اشترطت أمريكا فوق ذلك أن يكون لها بعثة عسكرية فى مصر للإشراف على استخدام الأسلحة، ورفضت مصر هذه الشروط فأعلنت إنجلترا وقف بيع الأسلحة لمصر وأعلنت أمريكا أنها توزع صادراتها من السلاح بين العرب وإسرائيل بالتساوى، وذلك لحفظ ميزان القوى فى الشرق الأوسط، فى حين أن هذه الدول أخذت تمد إسرائيل بالسلاح والعتاد الثقيل ففى إحدى الصفقات أعطت فرنسا لإسرائيل ٧٠ طائرة من طراز مستير، ١٠٠ دبابة، ١٠٠ مدفع ١٥٥مم، ١٥٠

مدفع مضاد للطائرات عيار ٧٥مم. وهذه الصفقات من السلاح شجعت إسرائيل على شن الغارات على الحدود المصرية مثل غارة غزة في فبراير ٥٥ وقبلها غارة العوجه في سبتمبر ٥٣، وفي مؤتمر باندونج ١٩٥٥ عرضت الصين على لسان رئيس وزرائها شواين لاى تزويد مصر بأسلحة من الكتلة الشرقية فأنذر عبد الناصر السفير الأمريكي باللجوء إلى الكتلة الشرقية إن لم يزود الغرب مصر بالأسلحة التي تحتاجها وكانت النتيجة حصول مصر على ٤٠ دبابة سنتوريان من بريطانيا دون أن تشحن معها طلقة واحدة من الذخيرة فأحتجت مصر فأرسلوا عشر طلقات لكل دبابة. وأمام ذلك لم يكن أمام مصر إلا التوجه إلى المعسكر الشرقي ليمدها بالسلاح والعتاد لتقوى على رد العدوان والزود عن أراضيها، وفي ١٧ سبتمبر ١٩٥٥ وقعت مصر إتفاقاً تجاريا مع تشيكوسلوفاكيا على توريد طلباتها من السلاح دون قيد أو شرط وقد تمت هذه الصفقة في سرية تامة حيث كان الإتحاد السوفيتي هو المورد الحقيقي لصفقة السلاح التي ضمت ٥٣٠ عربة مدرعة، ٢٣٠ دبابة، ٢٠٠ ناقلة جنود، ١٠٠ مدفع ذاتي الحركة، ٥٠٠ قطعة مدفعية أنواع، ٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة، مجموعة بحرية تضم مدمرات وكاسحات ألغام وثلاث غواصات.

وقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أخبار هذه الصفقة مساء ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ فى معرض القوات المسلحة قبل أن يسأله أحد بذلك، وقد كان لهذه الصفقة من السلاح أصداء كبيرة فى الداخل والخارج ففى الداخل قابلها المواطنون بالفرحة والابتهاج وسارعوا إلى الاكتتاب لتسليح الجيش. وفى الخارج خلفت هذه الصفقة عند الدول الاستعمارية جرحاً لا يندمل، مما دفعها إلى التآمر على العدوان لوقف هذا المد الثورى الجارف فقد نظرت هذه الدول إلى الصفقة على أنها ضربة موجهة أولا وأخيراً إلى إسرائيل طفل الاستعمار المدلل ورأس حربته، كما نظرت إليها على أنها تحمل فى طياتها معنى للتغلغل الشيوعى فى منطقة الشرق الأوسط فقالوا أن هذا السلاح شيوعى، ولكن عبد الناصر رد عليهم قائلا (أنا لا أعرف أن هناك سلاحا شيوعيا وآخر غير شيوعى أنا أعرف أن السلاح الذى يأتى إلى مصر يصبح سلاحاً مصريا).

القومية العربية

يقول الرئيس عبد الناصر (إن القومية العربية ليست فقط حركة سياسية إنما هى فلسفة اجتماعية وكما هى شعار لابد وأن تكون تخطيطا اجتماعيا وكما هى جموع وحشود لابد وأن

تكون أيضاً تعبئة اقتصادية كاملة، وكما هى طاقة وحماس لابد وأن تكون جهداً وعرقاً وكما هى حلم لابد وأن تترجم إلى مستوى معيشة لائق لجميع العرب).

ومنذ أن انطلقت القومية العربية من عقالها ناصبها الاستعمار العداء ورأى فيها خطراً يهدد كيانه ونفوذه ومصالحه فى منطقة الشرق الأوسط وخاصة مصالحة فى بترول المنطقة فلم يكن غريبا من الدول الاستعمارية أن تستهدف من العدوان على مصر القضاء على القوة الجبارة التى تحمل مشعل القومية العربية.

مشروع السد العالى

فى مقال للرئيس عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٥٤ قال (إن تزايد عدد السكان يحتاج إلى مجهود كبير متواصل وهذا يحتاج منا إلى أن نعمل على تطوير وتحسين الملاحة فى القناة حتى نحصل على أكبر ما يمكن من إيراد من أجل بناء المشروعات الأخرى وعلى رأسها مشروع السد العالى).

والحقيقة التى لم يكن هناك جدال فيها أن السد العالى سيوفر مياه الرى اللازمة للتوسع الزراعى فى مصر لمقابلة الزيادة المطردة فى عدد السكان ويحفظ للبلاد الكميات الهائلة

من مياه النيل التى تتدفق وتضيع فى البحر هباء كل عام فى موسم الفيضان كما يضمن حاجة البلاد من المياه للزراعات الحالية والمستجدة حتى سنوات الإيراد الضعيف فضلا عن أنه يقى البلاد الفيضانات ويوفر عليها الأموال التى تصرف سنوياً فى تعلية وتقوية الجسور.

كما أن السد العالى يمثل مصدراً جباراً لتوليد طاقة كهربية هائلة تستغل فى التصنيع والإنارة، ولذلك فقد كان هذا المشروع هدفاً عزيزاً من أهداف الثورة، وقد جرت مباحثات أواخر سنة ١٩٥٥ وأوائل ١٩٥٦ بين مصر والبنك الدولى بشأن تمويل مشروع السد العالى، وقد تم الاتفاق مبدئيا مع البنك على منح قرض لمصر بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار تسحب منه عند الحاجة لإنشاء السد، كما أبدت حكومتا أمريكا وبريطانيا استعدادهما لتقديم عون مالى قدره ٧٠ مليون دولار للإسهام فى تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع. ولما أثير موضوع السد العالى فى الكونجرس الأمريكى أرسلت لجنة الاعتمادات بهذا المجلس مذكرة يوم ٥٦/٧/١٦ إلى لجنة المساعدات الخارجية منعت فيها تخصيص أموال للسد العالى دون تفويض آخر، ثم قرر جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا فى ١٩ من يوليو ٥٦ أن تسحب أمريكا عرضها السابق تقديمه لمصر بمساعدتها فى

بناء السد العالى، وفى اليوم التالى لصدور القرار الأمريكى سحبت إنجلترا هى الأخرى عرضها ثم تبعها البنك الدولى فى اليوم نفسه، وهكذا تبينت خطوط المؤامرة وكأنما كان المتآمرون على ميعاد بعد رفض عبد الناصر طلب البنك الدولى فى الإشراف على النفقات العامة للدولة لمنعها من شراء السلاح بل نجح في استيراد السلاح من الدول الشرقية.

تأميم القناة صفعة على وجه المتامرين

أمام أكثر من مائة ألف مصرى احتشدوا فى ميدان المنشية بالإسكندرية أعلن الزعيم جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس ليصبح صفعة مدوية على وجه المتآمرين وقال عبد الناصر في خطاب التأميم (إن دخل قناة السويس ٣٥ مليون جنيه أى ١٠٠ مليون دولار نأخذ منها ثمن الذين ماتوا من أبنائنا ١٢٠ ألف فى حفرها مبلغ مليون جنية أى ثلاثة ملايين دولار والشركة التى قامت على حساب الفرمان من أجل مصلحة مصر يذهب إليها كل الدخل طبعاً).

ثم قال عبد الناصر أمام جمهرة من الصحفيين العالميين فى ٥٦/٨/١٢ (لقد قررنا أخذ الأرباح بعد تعويض حملة الأسهم وسنستخدم هذه الأرباح لا فى بناء القصور، بل فى بناء

مشروعات تكفل الرفاهية للشعب المصرى - إن مصر قررت تمويل مشروع السد العالى من دخل القناة بعد تأميمها - والحقيقة أننا بدأنا نفكر فى القناة منذ عامين ونصف على أننا لم نقرر تأميمها إلا بعد رفض الغرب تمويل مشروع السد العالى ونحن نرى اليوم أننا نستطيع أن نبنى السد العالى بأنفسنا وبمواردنا).

وقد صدر بتأميم القناة القانون رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦ ونص فى المادة الأولى على أن تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية (شركة مساهمة مصرية» وتنتقل إلى الدولة جميع الهيئات واللجان القائمة حاليا (سنة ١٩٥٦) على إدارتها ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر الإقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الأوراق المالية بباريس ويتم دفع هذا التعويض بعد إتمام تسليم الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤممة.

وقبل أن نلقى الضوء على آثار وتداعيات قرار تأميم قناة السويس نتوقف قليلا لنؤكد بالدليل على أن مؤامرة العدوان الثلاثى كانت موجودة وجاهزة قبل أن يجد المتامرون (شماعة التأميم)

مؤامرة العدوان بعيداً عن شماعة التا ميم

فى عام ١٩٥٥ حدثت تغييرات جذرية على قمة السلطة فى كل من بريطانيا وإسرائيل، مما كان له أكبر الأثر على مسار وتطورات الأزمة كما سيتضح فيما يلى:

تأثير تغيير السلطة فى بريطانيا

تنازل ونستون تشرشل عن رئاسة الوزارة فى بريطانيا إلى زميل دراسته أنتونى أيدن فى ٦ أبريل ١٩٥٥ وكان إيدن قد عمل مع تشرشل كوزير للخارجية منذ ١٩٤٠. ورغم موافقة إيدن على سحب القوات البريطانية من مصر فقد كان يصر على أن دور بريطانيا البارز فى المنطقة لم ينته بعد، ولهذا كانت خطة إيدن فى إنشاء حلف بغداد للحفاظ على مكانة بريطانيا الكبيرة، حيث كانت تهدف إلى احتواء الجناح الموالى للإتحاد السوفيتى وتشكيل حلف معارض للشيوعية من دول الشرق الأوسط تحت قيادة بريطانيا.

وقد عارض عبد الناصر حلف بغداد مما جعل من عبد الناصر شخصا غير محبوب لدى إيدن، وكان حلم عبد الناصر تحقيق وحدة عربية إسلامية بعيدة عن النفوذ الأجنبى وقادرة على التقدم بمفردها وسط القوى العظمى، ولهذا اشتدت المواجهة بين القادة الغربيين وبين عبد الناصر كقائد وطنى.

تأثير تغيير السلطة فى إسرائيل

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٥ تمت الانتخابات الإسرائيلية، وكانت النتائج قاسية لموشى شاريت رئيس الوزراء، حيث فقد خمسة مقاعد وفاز بن جوريون بثمانية مقاعد زيادة، فتولى رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع أيضاً، ورغم الخداع والتمويه فى تصريحات بن جوريون بأنه مستعد للتفاهم مع العرب، إلا أنه فى ٢ نوفمبر ١٩٥٥ أمر قواته بمهاجمة القوات المصرية فى منطقة الصبحة.

وفى ٥ ديسمبر ٥٥ أطلع بن جوريون مجلس الوزراء على خططه القديمة لاحتلال سيناء، كما اجتمع مع موشى ديان الذى قال له: (فى رأيى أنه لابد لنا بأسرع ما يمكن وخلال شهر واحد أن نحتل المضايق)، كما شرح بن جوريون لأعضاء هيئة القيادة الإسرائيلية ما نصه: (أن الدخول إلى سيناء قد لا يكون كافيا، وذلك أنه بدون القضاء على عبد الناصر فى القاهرة فإن أي انتصار عسكرى فى سيناء لا قيمة له، لأن الصراع سوف يستمر والأمل بالتالى لن يتحقق).

ولكى يجعل بن جوريون العرب يشعرون بقوة إسرائيل وإرغامهم على التصالح معها، أصدر أوامره بشن هجوم خاطف على سوريا وذلك فى ١١ ديسمبر ١٩٥٥، من إتجاه الشمال من

منازل السكان المدنيين وحرس الحدود مما أسفر عن مقتل ٥٦ مدنياً وإصابة العشرات وأسر ٣٠ فرداً.

مقدمات العدوان قبل التأميم

منذ بداية عام ١٩٥٦ حدثت عدة أحداث كانت تنبئ أن عدوانا ثلاثيا قد يحدث فى شهر مارس أى قبل تأميم قناة السويس بأربعة أشهر، ولقد زادت درجة التوتر لدى المسئولين فى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ووصل ذروته نتيجة عدة أحداث كان لكل منها أثره على إحدى أو كل هذه الدول. وأهم تلك الأحداث هى:

طرد جلوب من الأردن

نظراً لتطور الأحداث فى الأردن تولى الجنرال جلوب مسئولية قمع الفتنة فى الأردن، ولكن الملك حسين وجد نفسه أمام ضغط شديد من جانب الضباط الأحرار فى الجيش الأردنى والمعارضة فأصدر مرسوما بإقالة جلوب من منصبه كقائد للفيلق العربى بالأردن والذى خاض به حرب ٤٨ . ولقد أصيب الإنجليز بالدهشة من هذا الموقف وأرسل إيدن إلى الملك حسين ليعيد النظر فى قراره، ولكن الملك لم يتراجع خاصة أمام رغبة الشعب الأردنى الذى لم ينس تواطؤ جلوب مع اليهود

فى حرب ١٩٤٨. وظنت إنجلترا أن عبد الناصر هو المحرك لكل هذه الأحداث، وقال إيدن إن عبد الناصر هو عدونا رقم واحد فى الشرق الأوسط ولن يستريح حتى يقضى على كل أصدقائنا وعلى كل جزء من نفوذنا.

فرنسا تتوعد

فى منتصف مارس ١٩٥٦ جاء كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا إلى القاهرة ليقنع عبد الناصر بالتوقف عن تأييد الثورة الجزائرية مقابل مساعدة فرنسا للعرب فى سياستهم، وكان رد عبد الناصر عليه هو (أن تتخلى مصر عن الوطنيين والجزائريين يعنى أن أتخلى عن قوميتى العربية)، وغادر بينو مصر وهو يكن حقداً دفيناً لعبد الناصر ويريد فى قرارة نفسه أن يتخلص منه.

فشلت الغارات الإسرائيلية ولكن

فى شهر مارس أيضاً تأكد فشل سياسة إسرائيل فى تحقيق أمنها القومى بالغارات الإنتقامية فتحولت إسرائيل إلى استراتيجية الحرب الوقائية ضد مصر وطورت خططها العدوانية إلى أن تحين الفرصة المناسبة وقد نشرت صحيفة بير سبكتيف الفرنسية مقالا يوم ١٧ مارس ١٩٥٦ جاء فيه أن إسرائيل يجب أن تضرب ضربتها قبل مضى ستة أشهر، ومضت الصحيفة تقول إن المشكلة بالنسبة لإسرائيل هى كيف تثير هذه الحرب

وأن تبرر في الوقت نفسه موقفها فى نظر الرأي العالم العالمى هل ترسل جيشا لانتزاع الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناء أم تهاجم منطقة قناة السويس، ولكن هذا يعنى الهجوم على بريطانيا التى ترابط قواتها في هذه المنطقة، أم تهاجم الأردن وفى هذه الحالة قد تتدخل سوريا ومصر ثم ترد إسرائيل وتهاجم مصر حتى يسقطوا عبد الناصر.

متى بدأ تكوين محور العدوان؟

مر شهر مارس ١٩٥٦ دون أن يحدث شيء لأن القوات البريطانية كانت لاتزال ترابط في منطقة القناة ولن تغادرها إلا فى شهر يونيو ووجودها يمثل الحامى أو الحكم، وتريد أن تبين لمصر أن الوجود البريطانى فى منطقة القناة ضرورى لحمايتهم من الذئب الإسرائيلى، وهذا ما تم تخطيطه فعلا أثناء مؤامرة العدوان الثلاثى، ولكن فى ١١ مارس ١٩٥٦ سافر جي موليه رئيس وزراء فرنسا إلى لندن واجتمع مع إيدن رئيس وزراء بريطانيا للاتفاق على سياسة تتسم بالشدة مع مصر، ثم عاد موليه إلي باريس ليجتمع مع السفير الإسرائيلى يعقوب تور الذى كان صديقا شخصيا له، وبهذا تكون حلقات العدوان الثلاثى قد اتصلت، وكانت الخطة أن توجه إسرائيل هجوما ضد الأردن فتسرع مصر وسوريا لنجدتها فتتدخل إنجلترا وفرنسا

بصفتهما طرفى الاتفاق الثلاثى عام ١٩٥٠ ويقومان بضرب الجيش المصرى ويدمران أسلحته التي أستوردها من الكتلة الشرقية ثم تجبر الدول العربية على توقيع معاهدات صلح مع إسرائيل وكادت هذه الخطة أن تنفذ فى مارس ١٩٥٦ لولا أن.

١- عدم ضمان التأييد الأمريكى، مما يستلزم أولاً زيادة هوة الخلاف بين مصر وأمريكا حتى تؤيد أمريكا العدوان إذا وقع.

٢- شعور إسرائيل بحاجتها إلى مزيد من السلاح خاصة الطائرات والمدرعات الحديثة.

٣- شعور إنجلترا بالحرج من استخدام قاعدتها فى قناة السويس لشن حرب ضد مصر.

شماعة التأميم ذريعة واهية

لم يكن تأميم مصر لشركة قناة السويس هو السبب الرئيسى لنشوب الحرب عام ١٩٥٦ فالتأميم فى حد ذاته لم يهدد حرية الملاحة في القناة، ولم يمس من قريب أو من بعيد شرعية وظيفتها كممر مائى بين قارات العالم، ولا كان سببا لأن تسرع بريطانيا وفرنسا بالتلويح والتهديد باستخدام القوة ضد مصر ولا يشكل قضية دولية تعطى لأحد حقا فى التدخل وذلك

للأسباب الآتية:

١- إن التأميم فى حد ذاته عمل من أعمال السيادة الداخلية للدولة فالشركة مصرية وعقد الإمتياز المبرم فى ٥ يناير ١٨٥٦ بين مصر والشركة ينص على احترام سيادة الدولة، وقد ذكر شبيلوت وزير الخارجية السوفيتى فى ذلك الوقت ثلاثة أمثلة مشابهة الأول تأميم الحكومة الفرنسية لشركات الغاز والكهرباء عام ١٩٤٦ وبها مساهمون من الإنجليز والأمريكان والبلجيك والسويسريين، والثانى تأميم الحكومة البريطانية لصناعات الفحم والحديد والكهرباء، والثالث نزع المكسيك لملكية بعض شركات البترول الأمريكية واعتراف أمريكا بهذا الإجراء على اعتبار أنه حق مخول للدولة ذات السيادة، وقبلت مبدأ التعويض - أى أن رأس المال الأجنبى لا يقف حائلا دون التأميم ولا يحد من حق مصر فيه علاوة على أن قرار التأميم نفسه حرص على أنه ينص على تعويض المساهمين.

٢- إن دفع إنجلترا بعدم قبول وضع إدراة القناة تحت إشراف دولة واحدة مردود عليه بأن القناة قبل التأميم كانت تخضع بالفعل لدولة واحدة هى إنجلترا التى كانت تحتل القناة حتى يونيو ٥٦.

٣- إن القول بتعريض الملاحة فى القناة لأهواء مصر قول

زائف لأن مصر أشد الجميع رغبة فى توفير حرية الملاحة فى القناة، فكلما زاد عدد السفن التى تمر فيها زاد دخل مصر منها والضرر الذى يلحق بالقناة هو اضرار بمصر أولاً وأخيراً.

٤- إن مصر حين أممت شركة القناة أعلنت أنها تتمسك بكل نصوص معاهدة ١٨٨٨ بل رحبت أيضاً بتجديد هذه المعاهدة أو عقد اتفاقيات جديدة طالما تصون سيادة مصر على القناة وتوفر للمنتفعين بها مصالحهم.

أثار واصداء قرار التأميم فى كل الجبهات

أطار القرار العظيم للزعيم عبد الناصر بتأميم قناة السويس بصواب العديد من قادة دول مؤامرة العدوان الثلاثي لدرجة أن إيدن قد طالب باغتيال عبد الناصر، وهذا ما أعلنه أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى الذى استقال من منصبه احتجاجا على الطريقة التى تعالج بها حكومة إيدن أزمة السويس. وكان إيدن يرى أن عملية التأميم ما هى إلا خطف وسرقة ولذلك جعل عنوان كتابه عن معركة السويس (السرقة)..!!

أما جي موليبه فعند اجتماعه مع شيمون بيريز مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية وقتها أخرج من درج مكتبه نسخة من كتاب عبد الناصر الذى صدر بعنوان «فلسفة الثورة» وقال له:

نحن وأنتم أمام هتلر جديد فى العالم العربى والإسلامى، ولابد أن نضرب مخططاته وإلا فاتتنا الفرصة كما فاتتنا من قبل حين لم نفهم مقاصد هتلر فى كتابه كفاحى.

[ونعتقد أن أصداء قرار التأميم وأثاره علي كل الأطراف يحتاج إلى طرح أكثر تفصيلا كما يلى

إيدن يفقد صوابه ويعلن الحرب: تلقى إيدن نبأ تأميم قناة السويس فى العاشرة مساءً بتوقيت لندن (أى بعد خطاب عبد الناصر مباشرة) وكان وقتها يكرم على العشاء ضيفه الملك فيصل ملك العراق ورئيس وزرائه نورى السعيد وبعد أن قرأ إيدن البرقية سأل نورى السعيد هل كان لديكم من المعلومات ما يشير إلى أن شيئا من هذا النوع محتمل الوقوع.. ورد نورى السعيد إطلاقا، ثم استطرد لقد كان يجب أن يشيرنا فى مثل هذا القرار لأنه يؤثر على الدول العربية كلها، خصوصاً الدول المنتجة للبترول، وقال إيدن (لقد ذهب بعيداً لقد فقد صوابه ولابد أن نعيد إليه الصواب ورد نورى لابد أن تضربه وتضرب بشدة.. وتضربه الآن.

وبعد حفل العشاء مباشرة عقد إيدن اجتماعا فى قاعة مجلس الوزراء ضم عدداً من مستشاريه وبحضور السفير الفرنسى مسيو شوفيل والقائم بالأعمال الأمريكى أنرو فوشر.

ويقول اللورد كيلموير فى مذكراته (منذ اللحظة الأولى كان واضحاً أننا نتحدث عن عمل عسكرى ضد عبد الناصر).

فى صباح اليوم التالى ٢٧ يوليو تم اجتماع رؤساء أركان الحرب البريطانيين وبحثوا احتمالات العمل العسكرى فوجدوا أن أوضاع القوات البريطانية فى البحر المتوسط لا تسمح لهم بأى عمل عسكرى ضد مصر إلا بعد فترة لا تقل عن ستة أسابيع، وكان رأيهم أن أى عملية تستهدف احتلال منطقة قناة السويس لا تفى بالغرض لأن المطلوب هو احتلال القاهرة، لأن استمرار عبد الناصر فى القاهرة سيمكنه من شن حرب شعبية ضد قوات الاحتلال وهو نفس الوضع الذى كان قائما قبل الجلاء عن المنطقة، وفى هذه الحالة فإن قوات الاحتلال سوف تجد نفسها مشغولة بحماية نفسها قبل حماية القناة.

وفى اليوم نفسه أعلنت إنجلترا وفرنسا أنهما ترفضان الاعتراف بتأميم القناة، وقد خافت هذه الدول من أن يكون لقرار التأميم صداه فى الشعوب العربية التى تخضع للاحتكارات الاستعمارية والأجنبية فتحذو هذه الشعوب حذو مصر بتأميم شركات البترول التى بها، بل وصل الذعر بالدول الاستعمارية من قرار التأميم إلى حد الخوف من تأميم بقية الممرات المائية فى العالم.

جى موليه والغضب المجنون

كان رد الفعل فى فرنسا أكثر غضبا حيث كانت الحكومة الفرنسية بل والشعب كله يناصب مصر العداء لذا أعلن جى موليه أن فرنسا قررت أن تقاوم هذا العمل بشكل فورى، وبدأ استعداد فرنسا للعمل من أجل القضاء على نظام الحكم فى مصر، فى سبيل إنقاذ الجزائر أو على أقل تقدير القضاء على عبد الناصر لإنقاذ إسرائيل.. ولذلك اتصل جى موليه فى صباح يوم ٢٧ بإيدن ليؤكد له رغبة فرنسا فى الاشتراك في الهجوم الذى يعتزم إيدن أن يشنه على مصر، ويعرض عليه أيضاً إمكانية اشتراك إسرائيل فى هذا الهجوم.

الحرب الاقتصادية ضد مصر

بادرت إنجلترا وفرنسا ومن ورائهما أمريكا إلى اتباع وسائل الحرب الاقتصادية ضد مصر عقب قرار التأميم، فجمدت بريطانيا فى ٥٦/٧/٢٨ ما لمصر من أرصدة استرلينية ومقدارها ١١٢ مليون جنيه، ووضعت تحت الرقابة جميع رؤوس الأموال المصرية كما حجزت فرنسا هى الأخرى على جميع أرصدة مصر وأموالها لديها، وجمدت أمريكا أيضاً أرصدة مصر وقيمتها ٦٠ مليون دولار، كما قامت بوقف اتفاقية المعونة الاقتصادية من جانب واحد، وأصدرت فرنسا وانجلترا تعليماتها للشركات الملاحية التابعة لهما بعدم دفع رسوم عبور القناة للهيئة المصرية على أن تدفع الرسوم فى بنوك إنجلترا وفرنسا، كما فرضتا حصارا اقتصاديا على مصر بمنع مؤسساتها التجارية من البيع أو الشراء من مصر بأى شكل بغرض شل تجارتها الخارجية، وخاصة أن الاسترلينى كان أساساً نقديا تتعامل به مصر مع كثير من الدول، ورغم هذه الحرب الاقتصادية إلا أن إنجلترا وفرنسا قد تحاشتا قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر أو عرض القضية على الأمم المتحدة حتى لا يقعا تحت رحمة الفيتو السوفيتى.

التهديد باستعمال القوة ضد مصر

بدأ التخطيط الفعلى لغزو مصر اعتباراً من يوم ٢٨ يوليو فقد اتفقت إنجلترا وفرنسا على عمل عسكرى مشترك بينهما وبدأت الاستعدادات فى تجميع المدرعات الحربية الثقيلة وتم اختيار قاعدة مالطة والتى تبعد عن مصر بحوالى ١٠٠٠ ميل وهى أقرب ميناء عميق قادر على استيعاب القوات البحرية والبرية أما قبرص فيمكن أن تستوعب قوات محدودة. وقد بدأت مظاهر إعلان الحرب من خلال استدعاء الاحتياطى البريطانى، وبدأت حاملات الجنود تتجه كل يوم إلى قبرص ومالطه وليبيا حاملة الجنود الإنجليز والفرنسيين، كما طليت السيارات الحربية والدبابات باللون الأصفر وبدأ الأسطول البريطانى يتجمع فى مالطه وبدأت الطائرات العملاقة تتوزع فى مطارات قريبة من مصر، كما بدأت ناقلات الدبابات وكاسحات الألغام تنشط، وقد انقسم العالم أمام هذه الأوضاع إلى أغلبية تؤيد مصر فى موقفها وحقها فى التأميم فى مقدمتها الدول العربية والاتحاد السوفيتى ودول عدم الانحياز وبعض الدول الغربية، بل إن جريدة مانشستر جارديان البريطانية نشرت رأى حزبى العمل والأحرار الذى يقول (بأى حق يمكن أن تقوم بريطانيا وفرنسا بعمليات عسكرية ضد مصر؟ مادام عبد الناصر لم يغلق

القناة في وجه الملاحة فسوف تكون الدولتان معتديتين، ولن تستطيعا أن يخولا لنفسيهما حق التصرف باسم الأمم المتحدة).

وفى الثانى من أغسطس اتخذ مجلس الوزراء البريطانى قراراً سريا نقله هيوتوماس عن محاضر هذا المجلس بتاريخ ٢ أغسطس يقول (بمواصلة العمل السياسى إلى الوقت الذى يتم فيه الاستعداد العسكرى).

وطلب إيدن رؤساء هيئة أركان الحرب وأصدر إليهم توصية العمليات العسكرية ضد مصر محدداً هدفين هما:

١- السيطرة على قناة السويس

٢- اسقاط نظام الحكم فى مصر.

إسرائيل تستغل الموقف

فى إسرائيل اقترح موشى ديان على بن جوريون ثلاثة خطوط لعملية الهجوم علي مصر لاحتلال سيناء وقناة السويس والسيطرة على شرم الشيخ واحتلال قطاع غزة.

جهود التمويه السياسى

فى السابع والعشرين من يوليو أرسل إيدن إلى الرئيس الأمريكى إيزنهاور رسالة يطلب فيها تأييده وفى اليوم التالى

أرسل ايزنهاور رسالة إلى إيدن يقترح فيها أن يتم التشاور بين أكبر عدد من الدول التى تتأثر بتأميم القناة.

وفى الأول من أغسطس وصل وزيرى خارجية أمريكا جون فوستر دالاس إلى لندن واجتمع مع وزير خارجية فرنسا وإنجلترا وبعد مباحثات طويلة صدر عن اجتماعهم فى يوم ٢ أغسطس البيان الثلاثى الذى عارضوا فيه قرار التأميم وزعموا أن القناة كان لها دائما صفة دولية ويجب ضمان دوليتها بصفة مستمرة، والطريف أنهم اعترفوا بحق مصر فى التأميم ما لم يكن للممتلكات المؤممة صفة الدولية، واقترحوا إنشاء إدارة للقناة تحت إشراف دولى، واقترحوا أيضاً عقد مؤتمر دولى على وجه السرعة من الدول الموقعة على معاهدة الأستانة والدول ذات المصلحة فى القناة، وتم تحديد موعد السادس عشر من أغسطس لعقد المؤتمر. وفى الثالث من أغسطس تسلم وزير خارجية مصر خطابا بدعوة مصر للاشتراك فى مؤتمر لندن يوم ١٦ أغسطس، وعلي الفور عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعاً مع سفراء الاتحاد السوفيتى وأمريكا والهند، وكانت وجهة نظره أن يذهب إلى المؤتمر ليشرح وجهة نظر مصر، ولكن بعد الهجوم الشديد الذى شنه إيدن على عبد الناصر فى الثامن من أغسطس تراجع عبد الناصر عن الذهاب إلى لندن واعتذرت

مصر عن حضور المؤتمر وأرسلت على صبرى مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية كمراقب.

وفى الثامن من أغسطس دعا الرئيس عبد الناصر إلى اجتماع مع القادة العسكريين نوقشت فيه كل الاحتمالات وفى هذا الاجتماع تم إتخاذ قرار بالغ الأهمية وهو سحب القوات الرئيسية من سيناء لأن جبهة القتال المحتمل قد تغيرت حيث كان التقدير أن يكون الهجوم بريطانيا فرنسيا عبر البحر فى اتجاه الإسكندرية أو بورسعيد لذا أمر عبد الناصر بعودة فرقتين من سيناء أحدهما مدرعة والأخرى مشاه وبقيت فى سيناء كتائب من المشاه فقط سبع كتائب موزعة على مثلث أبو عجيلة ورفح والعريش والثامنة فى شرم الشيخ.

وفى الثانى عشر من أغسطس عقد عبد الناصر مؤتمراً صحفيا عالميا علق فيه على مؤتمر لندن بقوله (لقد كنا على استعداد لأن نذهب إلى أى مكان للمحافظة على السلام العالمى، ولكننا فوجئنا بالتهديدات والاجراءات العسكرية وبالتصريحات التى عبر فيها بعض الأقطاب عن عدم ثقتهم بجمال عبد الناصر، فما الفائدة إذن من الكلام أو المفاوضة إذا كانت الثقة معدومة؟ إن ردنا الوحيد هو عدم الاشتراك فى المؤتمر الذى دعوا إليه ولكننا سندافع عن أنفسنا حتى آخر

قطرة من دمائنا).

وخلال يومى ١١ -١٢ أغسطس بدأت العائلات الفرنسية فى مغادرة مصر حيث رحل ثلاث آلاف سيدة وطفل قبل آخر الأسبوع.

مؤتمر لندن ١٦ أغسطس ١٩٥٦

استقبلت لندن فى قصر لانكستر مندوبى الدول الاثنين والعشرين التى قبلت حضور المؤتمر ولم تحضر مصر وتخلفت اليونان، وتم استبعاد إسرائيل زيادة فى التمويه والخداع وفى الجلسة الأولى أراد كريستيان بينو أن يجعل المؤتمر مجلس تأديب ومحاكمة لمصر، فأبدى أسفه لتخلف مصر وقال (إن المتهم ينبغى أن يدافع عن نفسه)، ثم قدم دالاس وزير خارجية أمريكا مشروعابتدويل القناة يقوم على أساس إدارتها بواسطة مجلس إدارة دولى ينشأ بمقتضى معاهدة، وأن تفصل إدارته عن السياسة المصرية. وقد قبل هذا المشروع بأغلبية ثمان عشر دولة، ورفضته روسيا والهند وأندونيسيا وسيلان، وأعلن الرئيس عبد الناصر أن مصر ترفض هذا الاقتراح جملة وتفصيلا.

وفى اليوم التالى قدم مندوب الهند مشروعاً يؤكد على حقوق السيادة المصرية وحرية الملاحة فى القناة للجميع أما ديمترى

شبيلوف وزير الخارجية السوفيتى فقد فند معظم الحجج التى ساقها مندوبا فرنسا وبريطانيا، وذكر عدة أمثلة مستمدة من الواقع فى مختلف الدول بشأن تأميم شركات تستثمر رأس مال أجنبى، وأخيراً وجه تحذيرات ذات طابع عسكرى بأن الصراع لن يتوقف عند منطقة القناة، واقترح عقد مؤتمر دولى موسع من أجل الوصول إلى اتفاق مكمل لاتفاقية القسطنطينية الموقعة عام ١٨٨٨.

لجنة منزيس

فى يوم الخميس ٢٣ أغسطس آخر أيام المؤتمر لم ينجح المؤتمر فى إصدار بيان أو قرار يوفق بين وجهات النظر المختلفة فاقترح الوفد الفرنسى إرسال محضر الجلسات إلى القاهرة، وتمت الموافقة على ذلك بالإجماع، مع تعيين لجنة من خمسة أعضاء وهم ممثلى حكومات استراليا وأثيوبيا وإيران والسويد وأمريكا برئاسة رئيس وزراء استراليا روبرت منزيس بغرض الاتصال بالحكومة المصرية وتقديم البيان الذى وافقوا عليه، وقد قال منزيس لإيدن أن نسبة نجاح مهمته فى القاهرة لا تزيد عن ١٪ وقد وصلت اللجنة إلى القاهرة يوم ٣ سبتمبر واجتمعت مع الرئيس عبد الناصر أكثر من مرة حتى يوم ٦

سبتمبر وكان رأى عبد الناصر أنه على استعداد لمناقشة أى شئ إلا موضوع السيادة المصرية على القناة، وانتهت مهمة اللجنة بالفشل لأنها لم تكن مخولة بالتفاوض مع عبد الناصر ولكن مهمتها كانت تنحصر فى إبلاغه بقرارت المؤتمر بتدويل القناة وهذا ما رفضه عبد الناصر بحسم وقوة.

أثناء وجود لجنة منزيس بالقاهرة كانت إنجلترا تدرس عدة اقتراحات أخرى، مثل عملية كوماندوز محدودة لاغتيال عبد الناصر، ولكن المخابرات البريطانية رأت أنها عملية محفوفة بالمخاطر، وتم دراسة تدبير انقلاب ضد عبد الناصر، ولكن المخابرات البريطانية رأت أن ليس هناك فى مصر عناصر فى الوقت الحالى يمكن قيامها بهذا العمل كما كانت إنجلترا تدرس ردود الفعل المحتملة من الاتحاد السوفيتى ومن الشعب المصرى إزاء عملية الغزو.

جمعية المنتفعين بقناة السويس

عرض دالاس فكرة تكوين جمعية المنتفعين بقناة السويس من الثمانى عشرة دولة التى وافقت على قرار التدويل فى مؤتمر لندن، وتدور الفكرة حول التعاون بين مصر والجمعية وعلى استخدام مرشدى وموظفى الشركة القديمة وإذا رفضت مصر

تقيم الهيئة الجديدة مكاتبها على ظهر سفينتين ترسوان فى كل طرف من طرفى القناة ويجرى عليهما دفع الرسوم على أن تدفع الأرباح لمصر فيما بعد، وقد رفضت مصر فكرة هذه الجمعية وكان رأيها أنه إذا أصر الغرب على إنشائها فلتكن هيئة استشارية تبدى أراءها لهيئة قناة السويس المصرية بطريقة لا تفيد ولا تلزم، وقد أعلن عبد الناصر رفضه لهذه الجمعية فى خطابه يوم ١٥ سبتمبر فى كلية الطيران ببلبيس.

سحب المرشدين لعبة مكشوفة

كانت شركة قناة السويس تستخدم ١٠٦ مرشداً بينهم ٤٠ مصريا، والباقى من جنسيات مختلفة (منهم ٦١ بريطانيا - ٥٣ فرنسيا) وقد طلبت منهم الشركة التوقيع على بيان يعلنون فيه رغبتهم فى العودة إلى أوطانهم، وكانت بريطانيا وفرنسا تتصوران أن رحيل المرشدين سيؤدى إلى إغلاق قناة السويس، وفى اليوم الذى سيتوقف العمل فيه فى القناة تستطيع الأساطيل الفرنسية والبريطانية احتلال القناة.

ولقد كانت الإدارة المصرية مستعدة لهذا الاحتمال فتم تجميع أكبر عدد من المرشدين الاحتياطيين الذين يستطيعون أن يتلاءموا بسرعة كبيرة مع ظروف الملاحة فى القناة وفى ١٠

سبتمبر أعلنت مصر عن تعيين ٥٦ مرشداً جديداً منهم ٤٧ مصرياً، ٥ من اليونان ونرويجى وإيطالى وسويدى وألمانى، وفى صباح ٦ سبتمبر وصل ١٥ مرشداً سوفيتيا إلى بورسعيد فى الوقت المناسب. وفى مساء ١٦ سبتمبر عبرت القناة ٤٢ سفينة بواسطة مرشدين مصريين ولم تتأثر حركة الملاحة في القناة وكسبت مصر معركة المرشدين.

مؤتمر لندن الثانى ١٩ سبتمبر

اجتمعت وفود الدول المشتركة فى إنشاء جمعية المنتفعين بالقناة فى قصر لانكستر من جديد يوم ١٩ سبتمبر، وكانت هناك نقطة خلاف واحدة وهى هل سيتم تسديد رسوم المرور إلى جمعية المنتفعين إجباريا أم يترك الأمر اختياريا وكيف السبيل إلى الزام شركات الملاحة بمثل هذا الأمر؟

وقد توصل المؤتمر إلى صياغة نص يحدد هدف المنتفعين بالقناة لمسألة الرسوم وهو استلام وحفظ ودفع الإيرادات من الرسوم أو أى مبالغ أخرى لا يمكن أن يدفعها إلى الجمعية أى منتفع بالقناة دون أن يؤثر ذلك على الحقوق القائمة إلى أن تتم التسوية النهائية. وانفض المؤتمر فى جو من الغموض بعد أن أتفقت الدول الحاضرة على أن تبدأ مزاولة أعمالها مع بداية

شهر أكتوبر فى لندن.

القضية فى مجلس الأمن

بانتهاء مؤتمر لندن الثانى ٢٣ سبتمبر وكانت بريطانيا تريد استنفاذ جميع إمكانيات الحلول السلمية ثم كسب الوقت للإستعداد العسكرى لذا أبلغت إنجلترا وفرنسا مجلس الأمن بالقضية، مع أن دالاس كان لا يفضل هذا الحل لأن الڤيتو السوفيتى المتوقع سيجعل أمريكا مضطرة إلى الاختيار بين التضامن مع شريكتيها فى الأطلنطى أو مساندة مصر، وقد ذكر دالاس فى مؤتمر صحفى (لن أدعهم يشقون لأنفسهم طريقا فى القناة بواسطة المدافع)

وبدأ اجتماع مجلس الأمن يوم ٥ أكتوبر وقدم سلوين لويد وكريستيان بينو وزيرا خارجية كل من إنجلترا وفرنسا إقتراحات بمشروع قرار يعيد بطريقة أخرى القرارات التى اتخذتها لجنة الثمانية عشرة فى اجتماع لندن يوم ١٦ أغسطس.

وفى ٨ أكتوبر تحدث محمود فوزى وزير الخارجية المصرى ورفض الاقتراحات الفرنسية البريطانية، وأوصى بإنشاء هيئة للمفاوضات على أساس الحرية التامة للملاحة فى القناة وإقامة نظام يشترك فيه معاً المنتفعون والهيئة المصرية التى تقوم

بإدارة القناة.

ثم تحدث المندوب السوفيتي ديمتري شبيلوف ورفض الاقتراحات البريطانية والفرنسية وأعلن أن هذه الاقتراحات تمثل إنذارا جديداً لمصر.

وتحدث دالاس عن الوجه البناء في الاقتراح المصرى بإجراء مفاوضات مع جمعية المنتفعين، وقد كانت كل مواقف أمريكا تهدف إلى إفراغ الموقف من احتمال استخدام القوة خشية التصادم مع الإتحاد السوفيتي وخشية حرج موقفها عربيا ودوليا إذا أيدت عملية عسكرية يحركها منطق القرن التاسع عشر ودبلوماسية مدافع البوارج وخوفا من أن تصوت أمريكا إلى جانب الإتحاد السوفيتى أعد مندوبا فرنسا وبريطانيا نصا يعتبر فى ظاهرة كأنه حل وسط فى جزئين الأول من ستة مبادئ وهى:

١- أن يكون المرور فى القناة حراً ومباحاً للجميع دون تمييزا أو تفرقه

٢- يجب احترام سيادة مصر.

٣- تأكيد استقلال إدارة القناة عن سياسة أى دولة.

٤- الإتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة على تحديد رسوم المرور.

٥ - تخصيص نسبة عادلة من الرسوم المحصلة لتحسين القناة.

٦- إجراء تحكيم بالنسبة للمسائل المعلقة بين الشركة العالمية والحكومة المصرية.

أما الجزء الثانى من الحل الوسط فيهدف إلى انتزاع الموافقة بتدويل القناة.

وقد وافق المجلس بالإجماع على الجزء الأول من القرار، ووافق أيضاً المندوب المصري أما الجزء الثاني فقد عارضه كل من الاتحاد السوفيتى (حق القيتو) ويوغسلافيا وذلك يوم ١٤ أكتوبر.

وتقرر أن تبدأ المباحثات بين وزراء خارجية مصر وفرنسا وبريطانيا فى جنيف يوم الأثنين ٢٩ أكتوبر وهذا هو نفس التاريخ الذى اتفق فيه المتآمرون على بداية العدوان!!

الكواليس المشتعلة

فى ظل هذا التمويه والخداع السياسى كانت هناك عمليات خداع وتمويه عسكرية لمحاولة اصطياد مصر حيث شهدت الجبهة الأردنية الإسرائيلية بداية من يوم ١١ سبتمبر ٥٦ العديد من المناوشات والغارات الإسرائيلية التى قتلت الكثير من

المدنيين ورجال الشرطة، ولم تتوقف إسرائيل إلا بعد تهديد بريطانيا بإرسال قواتها إلى الأردن طبقا للإتفاق الأردنى البريطانى، كما أن إسرائيل رأت بأن هذا الأسلوب ربما يعرضها لمهاجمة العراق وسوريا مع مصر والأردن فتراجعت عن هذه الطريقة، وفى مساء ٢٨ سبتمبر ٥٧ سافر وفد إسرائيلى إلى فرنسا عارضا شروطة التى تتلخص فى أن إسرائيل لن تحارب وحدها وأن أمريكا يجب أن تكون على علم بالعمليات وأن بريطانيا يجب أن تتعهد بعدم مساعدة أى طرف عربى، وقال الوفد صراحة (إن هدفنا هو تحقيق السيطرة الإسرائيلية على الشواطئ الغربية لخليج العقبة كضمان لحرية مرور السفن الإسرائيلية فى القناة وربما فكرنا فى نزع سلاح سيناء كاملاً ووضعها تحت رقابة قوة دولية).

ويقول موشى ديان فى كتابه قصة حياتى عن هذه الاجتماعات:

(خلال اجتماعات الوفد الإسرائيلى مع الجانب الفرنسى تبين لنا أن فرنسا لا تملك قاذفة قنابل مناسبة، وهكذا إذا لم تشترك بريطانيا معنا فإن الحملة قد لا يمكن إنهاؤها بطريقة مرضية لنا تماما وربما كان أكثر ما ترغب فيه إنجلترا هو أن تقوم إسرائيل بهجوم على مصر ثم تدعى بريطانيا رغبتها فى الدفاع عن

مصر، وتنزل بقواتها لقناة السويس وتحتفظ بالسيطرة عليها وينتهى الأمر وكانت وزارة الخارجية البريطانية مقتنعة بأنه فى مثل هذه الظروف فإن أحداً لا يستطيع أن يلوم بريطانيا أو يتهمها بالعداء للعرب أو بالعدوان عليهم. ولم يكن الفرنسيون قد استقروا بعد على مسألتين فى منتهى الأهمية بالنسبة إلى الحملة البداية والنهاية وبالنسبة لنا فإن هاتين المسألتين كانتا محاولتين لم تكن تحتاج إلى مبرر لبدء الحملة ضد مصر، وبالنسبة إلى النهاية فلم نكن نريد احتلال سيناء إلى الأبد، ولكن كنا نريد ضمان حرية الملاحة إلى إيلات وتدمير الجيش المصرى الذى يهدد إسرائيل فى سيناء ووقف عمليات الفدائيين ضد إسرائيل من قطاع غزة، ونحن أيضاً نريد أن نرى ناصر يسقط ويجيئ بدلاً منه نظام مصرى يستطيع إنشاء علاقات سلمية مع إسرائيل وقد اغتنمت إسرائيل هذا اللقاء، وقدمت مطالبها من السلاح، وكانت تتضمن دبابات وعربيات نصف جنزير، وناقلات جنود تستطيع التحرك على الرمال، ومدافع مضادات للدبابات وطائرات) وفور عودة الوفد الإسرائيلى دعا ديان هيئة الأركان وأبلغهم بإحتمال القيام بعمل مشترك مع فرنسا وبريطانيا ضد مصر. وفى أكتوبر عقد ديان اجتماعا مشتركا بقادة القوات الإسرائيلية وعرض خطة العمليات ضد

مصر فى سيناء وقد اختار لها الاسم الرمزى (العملية قادش).

وفى ليلة ١٨ أكتوبر وصلت برقية من جى موليه يدعو فيها بن جوريون لاجتماع فى باريس وبدأت المباحثات فى مساء ٢٢ أكتوبر فى قرية (سيفر) فى ضواحي باريس وأشار بينو إلى ضرورة الحركة بسرعة لأنه بعد أكتوبر سيبدأ موسم العواصف فى البحر المتوسط وأن أمريكا مقبلة على الانتخابات فى نوفمبر ولذلك فهى مشغولة جداً كما أن الاتحاد السوفيتى مشغول بالقلاقل فى بولندا. وكان رأى بن جوريون أنه يجب قلب نظام الحكم فى مصر، كما طالب بإعادة ترتيب أوضاع الشرق الأوسط.

ووصل وزير الخارجية البريطانية إلى فرنسا وتم وضع الاتفاق النهائى كما يلى:

١- فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ تقوم القوات الإسرائيلية بشن هجوم واسع النطاق على القوات المصرية بهدف الوصول إلى منطقة القناة فى اليوم التالى.

٢- عندما تعرف الحكومتان البريطانية والفرنسية بهذه التطورات فإنهما سوف توجهان يوم ٣٠ أكتوبر نداء بالتوازى إلى الحكومتين المصرية والإسرائيلية يتضمن وقف اطلاق النار وسحب كل القوات إلى مسافة عشرة أميال

بعيداً عن القناة، وإذا لم تستجيب مصر تقوم فرنسا وإنجلترا بالهجوم على القوات المصرية فى الساعات الأولى من صباح ٣١ أكتوبر ٥٦.

وهكذا كشفت هذه المؤامرة القذرة عن وجهها القبيح ليبدأ فصل من أروع فصول التاريخ الإنسانى فى النضال والفداء، والدفاع عن الأرض والعرض، ولتصبح بورسعيد بوابة المجد والتاريخ قطعة من الجحيم يحرق الأعداء ويضع أنوفهم فى التراب، ولتنتهى أسطورة الاستعمار بشكله التقليدى إلى الأبد..

الفصل الخامس

مذكرات محافظ بورسعيد

أثناء العدوان الثلاثى

عندما بدأت مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر، لم تكن بورسعيد حينئذ محافظة مستقلة، ولكنها كانت عاصمة لما كان يسمى وقتها محافظة (القنال)، التى كانت تضم بورسعيد والإسماعيلية. ولأنها كانت عاصمة المحافظة فقد كان من الطبيعى أن يقيم فيها المحافظ ليصبح الممثل الرسمى للدولة أمام كل قيادات العدوان التى مارست عليه الكثير من الضغوط والتهديدات ليحصلوا من خلاله على (تنازلات رسمية)، ولكن الرجل كان يعلم أنه يحمل على كتفيه ورأسه كل (كرامة الوطن)،فوقف صامداً شامخاً يرفض الاستسلام، ويأبى التنازل ورغم الحساسية الشديدة لموقف الرجل إلا أنه قد شارك بشكل فعال فى عملية مقاومة العدوان كما بذل جهوداً جبارة فى توفير المواد التموينية لسكان المدينة الباسلة التي حاصرها الأعداء

من كل جانب. ولكل ما سبق يتضح مدى أهمية شهادة الرجل الذى اختارته الأقدار ليتحمل مسؤلية المدينة الباسلة فى ظل هذا الظرف التاريخى الفريد، ومن حسن الحظ أن الرجل كان يكتب يومياته طوال أيام المعركة لتصبح وثيقة شديدة الأهمية، ولتقدم لنا إلى درجة كبيرة وجهة النظر الرسمية حول مؤامرة العدوان الثلاثى، ونحن عندما نقدم مذكرات السيد/ محمد رياض محافظ بورسعيد أو القنال حول العدوان الثلاثى فإننا نقدم واحدة من أهم وثائق هذه الحرب.

٣٠ أكتوبر ١٩٥٦

بدأت الطائرات البريطانية والفرنسية تقوم بغارات جوية على المدينة وقد ركزت غاراتها على الأهداف العسكرية، وجعلت أهم أهدافها إسكات المدافع المضادة للطائرات والتى كانت تنشط بصورة هددت طائرات العدو تهديدا مباشراً وأسقطت منها عددا غير قليل.

٣ أكتوبر ١٩٥٦

لايزال الموقف كما كان بالأمس الطائرات المعادية تضرب المدينة إن الهدف الرئيسى الذى تسعى إليه هو شل مقاومة المدفعية المضادة، ومع ذلك ورغم كثرة الغارات لاتزال مدفعيتنا تواصل عملها. إننى أسمع فى هذه اللحظة أصوات طلقات

تتجاوب فى الفضاء. إنها ترد العدوان عن المدينة وتؤدى واجبها كاملا.

أول نوفمبر ١٩٥٦

إن الأعداء قد فقدوا كل معانى الإنسانية التى يتحلى بها الإنسان، حتى وهو يحارب فى الميدان. إنهم يضربون ضربا مباشرا كل الأهداف دون تفرقه وقد أصابت قنابلهم اليوم مسجد (عبد الرحمن لطفى) ومسكنه وأصابت الكنيسة أيضاً بإصابات شديدة، وواضح أن الأعداء قد أصابوا المسجد والكنيسة عن عمد فقد ضربتهما طائراتهم وهى تطير على إنخفاض شديد.

٣ نوفمبر ١٩٥٦

اشتدت الغارات. وتبذل الطائرات المعادية قصارى جهدها لبث الذعر فى نفوس المواطنين ولكن الروح المعنوية عالية جدا بين السكان.

٤ نوفمبر ١٩٥٦

يواصل العدو غاراته العنيفة وقد خرج اليوم عن صمته فبدأت اذاعته الاستعمارية (صوت بريطانيا) توجه ما أسمته تحذيرا ونداء إلى أهالي بورسعيد فى برنامج موجه إلى المدينة وبلغت من وقاحتها أنها راحت تحدد الأماكن التى تنوى أن

تضربها بقصد بث الذعر فى نفوس المواطنين ونشر الفوضى فى المدينة، ولكن السكان يواجهون بلبلة الخواطر هذه بالصمود والصبر الاستعداد.

٥ نوفمبر ١٩٥٦

بدأ العدو يدخل بنشاطه فى مرحلة أخرى من مراحل عداونه، وقد تجلى هذا النشاط واضحا صباح اليوم، إذا أنزل العدو ٣ دفعات من جنود المظلات في بورفؤاد والرسوة والجميل. وقد اشتبكت معها فوراً قواتنا المسلحة والبوليس والأهالى، بعد أن كون ثلاثيتهم جبهة متحدة لمواجهة العدوان وانضم كل مواطن ليضع نفسه تحت السلاح فى سبيل بلده. وكانت صدمة أفقدت العدو رشده عندما قالت تقاريره بنتيجة مغامرته الرعناء، وهى إبادة قواته الثلاث التى قذف بها إلى بورسعيد محاولا غزوها واحتلالها، وفى الوقت نفسه راح العدو يقترب من شاطئ بورسعيد بقطعه البحرية الضخمة من البوارج وحاملات الطائرات وحاملات الجنود والمدمرات وغيرها، وراحت حاملات الجنود وكانت تحمل فى الوقت نفسه المعدات الحربية من دبابات وناقلات جنود برمائية ومعدات حربية وأسلحة ثقيلة تقترب من الشاطئ تمهد لإنزال معداتها وجنودها، بينما القتال لايزال دائرا فى بورفؤاد والرسوة والجميل بين قواتنا المشتركة

الشعب والجيش والبوليس وبين جنود الباراشوت، ومن دواعي الفخر أن أذكر أن هذا الهجوم وإنزال جنود المظلات كان تجربة عملية لفرقة مقاومة جنود المظلات المكونة من رجال البوليس، إذ استطاع هؤلاء الرجال أن يقوموا بواجبهم رغم قلة عددهم بالنسبة لقوات العدو الهابطة التى بلغت عدداً كبيراً. واكتب هذه السطور من غرفة العمليات بالمدينة. لقد اتصل بى الآن القائمقام حسن رشدى مفتش المباحث العامة ليبلغنى أن موظفا مصريا بهيئة إدارة القنال قد اتصل به تليفونيا من وابور المياه الكائن بجهة الرسوة التى تقع فى الجهة القبلية من بورسعيد وأبلغه أن قائد قوات البراشوت التي احتلت وابور المياه يرغب فى الاجتماع بلجنة لبحث مسائل خاصة بقصد تخفيف حدة الغارات الجوية وتفادى إصابة المدنيين. ولم يرق لى هذا بالطبع فقد كان هذا مناقضا لما وقع بالفعل. إذ ضربت الأهداف غير العسكرية منذ البداية ونزلت بالمنازل والمواطنين أفدح الخسائر.

وقد قلت له: إن هذا الطلب مرفوض من جانب المسؤلين العسكريين وبالتالى فهو مرفوض من جانبنا وقد أبلغت هذا الرد مباشرة للقائمقام حسن رشدى.

٦ نوفمبر ١٩٥٦

استيقظنا في الصباح الباكر مع أعنف غارات تعرضت لها بورسعيد وبدأ الأسطول يدخل الميناء تماماً ليفرغ عتاده من الدبابات والمدافع الثقيلة والسيارات وغيرها وراحت مدافعه في الوقت ذاته توجه ضربات عنيفة نحو المدينة والمساكن المواجهة لها على طول شاطئ البحر بينما الطائرات تواصل ضرب المدينة من الجو. وأنا أباشر عملي الآن كمحافظ للمدينة من مكتب البريد بها، بعد أن دمرت غارات العدو مسكني بالدور العلوى من مبنى المحافظة القديم، ودمرت معه مبنى المحافظة كله بعد أن تلقى وابلا من القنابل شديدة الإنفجار والحرقة فدمرته تدميراً تاما أو كادت. لقد تحول المبنى إلى أنقاض ولم يعد باقيا منه سوى أجزاء. والصارى الذى يحمل علم مصر في مدخله لقد بقى العلم قائما لم يستطع أن يناله الأعداء. وعلى طول الجهة الغربية والجنوبية من مبنى المحافظة دمرت طائرات العدو ومدافع الأسطول أكثر المباني، وأزيل حي المناخ بأكمله فأصبح أرضا فضاء. ومن الأهداف التى دمرها العدو أو أصابها مواسير المياه ومحطتها وكابلات الإنارة ومحطة المجارى. واليوم ظهرا اتصلت بالسيد وزير الداخلية تليفونيا ووضعت الموقف بين يدى سيادته، وكان الأمر الذى تلقيته أن

أواصل عملى وأن يواصله من هم تحت رئاستى جميعا كما نحن قائمون به فعلا. وفي هذه المحادثة أبلغت سيادته اتصال (وسطاء) بى للمفاوضة مع قوات العدوان وفصلت لسيادته ما دار فى هذا الشأن وهو ما سأذكره فى يومياتى فى حينه.

وعلمت الآن أن سجن المدينة قد أصيب وأن المستشفيات والمساكن وكثيراً من المدارس قد تعرضت للعدوان البربرى. وتسلل جنود العدو إلى المدينة يعيثون فيها فسادا فى طرقاتها وينهبون المتاجر ويحطمونها ويستولون على ما فيها ولاسيما بعد أن رفض أصحابها التعاون مع العدو على الإطلاق. ومنذ لحظات اتصل بى تليفونيا اللواء الباجورى وكيل وزارة الداخلية ليستعرض معى الموقف وقد ذكرت لسيادته تفاصيل الحالة فى المدينة. وتلا ذلك اتصال تليفونى بين السيد كمال الدين حسين القائد العام للمقاومة الشعبية وبينى وقد تحدثت إلى سيادته والأعداء ينزلون مدرعاتهم ودباباتهم إلى الشوارع ولم يلبثوا أن حاصروا مكتب البريد الذى كنت ومعاونى نقيم فيه وقبل أن أنتهى من حديثى مع السيد الوزير كنت قد أصبحت محاصراً.

٧ نوفمبر ١٩٥٦

أمضيت ليلتى فى مكتب البريد ومعى اللواء محمد حسن البنا حكمدار بورسعيد والقائمقام حسن رشدى وبعض كبار ضباط

المحافظة، وطلع علينا صباح اليوم وشارع الجمهورية (فؤاد سابقا) الذى يقع مكتب البريد فيه، يعج بالسيارات المصفحة، وفوجئت فى حوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر بثلاثة من كبار ضباط الجيش البريطانى يدخلون مكتبى ويتصدى لى أحدهم (وقد عرفت فيه فيما بعد مدير المخابرات) بالحديث ويبلغنى أنه قد جاء وزميلاه لإصطحابى إلى الجنرال (أستوكويل) ولم أستطع أن أخفى دهشتى من هذا الطلب الوقح، فرددت عليه بأننى أرغب فى أن أتحدث معه على إنفراد، فكان رده أنه حضر ومعه زميلاه فيجب أن يكون الحديث أمامهما وصممت على أن يكون الحديث على إنفراد نظراً لدقته وعرضت أن ينسحب أعوانى من الغرفة وأن ينسحب زميلاه بدورهما إلى غرفة مجاورة وتم ذلك بالفعل وقلت لضابط المخابرات البريطانى.

- ما هو المقصود بالضبط من اصطحابى لمقابلة الجنرال

فأجاب: أنه يرغب فى أن يبحث معك بعض الشؤن.

وعدت أسأله ولماذا لا يحضر إلى هنا.

فكان رده: إن الجنرال مشغول جدا وهو لا يستطيع أن يحضر إليك ودام الصمت لحظات قطعها الضابط بقوله مستطرداً:

- إن الجنرال يعرض عليك مساعدته لتموين أهل المدينة بالطعام، ولا شك أنك بوصفك محافظ المدينة تهمك مساعده أهلها.

فأجبت: إن فى المدينة من التموين ما يكفيها وإذا كان الجنرال مشغولا اليوم فليحضر غدا أو بعد غد أو فى أى يوم يلائمه فضلا عن أنه حر فى أن يحضر أو لا يحضر لكننى لا أقبل أن أذهب إليه

وأجاب: إنها مجرد زيارة.

وكان ردى: عندما حضر (مستر هيد) وزير الدفاع البريطانى إلى بوسعيد منذ شهور مضت وكان ذلك قبل العدوان وأثناء مفاوضات الجلاء قبل الأخيرة، أرسل الجنرال (هل) قائد القوات البريطانية فى ذلك الوقت يستأذننى فى زيارة الوزير لى.

وأبتسم الرجل وهو يجيب: أعتقد أن الوضع الآن مختلف جداً.

وقلت فى حزم وإصرار: أحب أن ألفت نظرك إلى أن القتال لايزال ناشبا وأننى لم أسلم المدينة ولا أزال الحاكم الشرعى لها وأرى أنه يجب أن أفهم بأية صفة يريد الجنرال أن يبحث معى هذه الشؤن الهامة التى تقول عنها. إن كان بصفتى الشخصية فأنا لا أرغب فى مقابلته وإن كان بصفتى محافظ

المدينة فللمحافظ وضع ينبغى أن يراعيه الجنرال.

وكان رده: لقد ذكرت لك يا سيدى أن الجنرال مشغول جداً ولا يستطيع النزول إلى المدينة فى الوقت الحاضر وهو إنما يوجه إليك الدعوة لزيارته لبحث هذه الشؤن الهامة التى قد يترتب على تأخير بحثها الحاق الضرر بالمدينة وأنه لا مندوحة من هذه المقابلة بإعتبارها زيارة.

قلت له: إننى لن أذهب معكم بأى حال ولكنني سأعتبر حضورك وزميليك زيارة تستحق أن أردها لكم ولا مانع من ألتقى فى خلال هذه الزيارة بجنرال إستكويل بشرط أن يفهم الجنرال صراحة أننى لم أحضر لا لمقابلته ولا لزيارته، وإنما ردا لزيارتك وزميليك الضباط.

وطلبت إليه الإنصراف مع زملائه ووعدته برد الزيارة بعد نصف ساعة، ووافق الضابط على ذلك وإنصرف وزميلاه.

وبعد نصف ساعة انتقلت ومعى القائمقام حسن رشدى فى سيارته الخاصة إلى كازينو بالاس وهناك استقبلنى مدير المخابرات أمام الباب، وكانت هناك حركة كبيرة من تحركات السيارات والدبابات والمدرعات وقوات عسكرية متراصة فى الطرقات، ثم وجدت القنصل البريطانى واقفا أيضاً وقد حيانى عندما شاهدنى وبعد لحظة حضر جنرال إستكويل وحوله رهط

من كبار ضباطه، وكان يصدر تعليماته لهم واقترب منى ثم مد يده محييا وأنتحينا بمفردنا وبدأنا الحديث.

وسألنى عن حالة التموين وأبدى استعداده لتموين الأهالى وأقترح أن تخزن المواد التموينية على أن تكون تحت حراسة حرس الجمارك فأخبرته بأن المدينة أولا ليست فى حاجة إلى شىء كما أنه لا يوجد أحد من حرس الجمارك فى المدينة.

وسألنى أين سأباشر سلطاتى الرسمية؟ فقلت له فى ديوان المحافظة وقلت له إن عملى سيكون رعاية مصالح المواطنين.

وعرض على حراسة إنجليزية لمبنى المحافظة فأجبته بأن الحرس سيكون مصريا فعاد يعرض على حرسا إنجليزيا لحراستى شخصيا، ولكنني رفضت وذكرت له أننى سأقيم بمنزل السيد حكمدار بوليس المدينة بعد أن دمر العدوان منزلى تماما، فعرض حراسة على المنزل فرفضتها.

وإنتهت المقابلة وأدى الجنرال لى التحية العسكرية وانصرف وذهبت إلى منزل الحكمدار حيث قررت أن أقيم، وكان معى القائمقام حسن رشدى فوجدت المنزل مغلقا وتحت حراسة جنود الجيش الإنجليزى، فأرسلت السيارة لاستدعاء السيد الحكمدار من مكتب البريد فحضر وفتح المنزل.

ولاحظت أن الحرس يتبعنى فى كل مكان أذهب إليه

فاعترضت على ذلك فأفهمني قائد الحرس أن هذه الحراسة كانت معينة قبل وصولى، وإنه سيصل بعد قليل حرس آخر يحمل تعليمات أخرى وفعلاً حضر الحرس الجديد، لكنه يحمل نفس التعليمات وكان يلاحقنى فى أى مكان أدخل إليه. وأرسلت أستدعى إلى منزلى إخوانى الضباط الذين كانوا معى فى مكتب البريد وهم الأميرالاى زكرى واصف وحسن فوزى والقائمقام مصطفى النويهى والقائمقام أحمد مرسى والسيد توفيق الديب مدير البلدية.

وبينما نحن نقضى الليلة فى المنزل وعند منتصف الليل فوجئنا بحركة غريبة أعقبها صوت أحد جنود الحراسة الإنجليزية يصيح ويستنجد بزملائه، وبقيت فى مكانى من الفراش بينما أسرع من معى إلى النافذة يستطلعون الأمر. وكانت مفاجأة ضخمة.. من النافذة تدلى جزء من الحبل نحو الأرض. ومن أسفل كان جنود الحراسة الإنجليزية يتطلعون فى هلع، وبدا الموقف غريبا . وراحت الأسئلة تدور فى أذهاننا . ما الذى حدث؟ وكان من الصعب أن نجزم بجواب على هذا السؤال. وفجأة عرفنا كل شىء وتبين لنا من هذه الحركة أن الحراس قد لاحظوا قطعة الحبل التى تتدلى فشكوا فى الأمر وسارع بعضهم إلى الحديقة بينما أسرع البعض منهم إلى

السيد الحكمدار يوقظه، وساد الفزع بشكل غريب وفى النهاية تبين لنا أن قطعة الحبل لم تكن غير قطعة حبل بالية تتدلى من ستارة النافذة قذف بها الهواء هكذا، فظن الحراس أننى قد فررت من النافذة، أو أن أحدنا كان بسبيله إلى ذلك. وبادر جنود الحراسة فقطعوا الحبل وانصرفوا وكما قلت لم أتحرك من فراشى طوال ذلك اليوم.

٨ نوفمبر ٥٦

فى صباح اليوم أردت أن أذهب إلى مسكنى المدمر فى المحافظة لتفقد حالته فإذا باثنين من الحراس الإنجليز يركبان إلى جوار سائق سيارتى، ولما وصلت إلى دار المحافظة صعدا معى إلى المنزل، وبعد جولة قصيرة عدت إلى منزل الحكمدار وقررت أن أبقى فى المنزل تفاديا لأن أخضع تجولى وتصرفاتى لحراسة جنود إنجليز.

وقد وقفت فى جولتى اليوم على ما تعانيه المدينة من السلب والنهب بمعرفة الجنود الإنجليز والفرنسيين، وقد راجت إشاعات بثها أفراد الطابور الخامس من رعايا العدو وبعض المالطيين، وكانت الإشاعات الخبيثة التى قصد بها إضعاف الروح المعنوية تقول إننى قد قتلت، وبعضها يقول أننى قد هربت، وآخر هذه الإشاعات كانت هروبى إلى قبرص.

أبطال البوليس

وقد استشهد عدد كبير من رجال البوليس، استشهدوا وهم يؤدون واجبهم على أكمل صورة وخير وجه، وبعد أن دافعوا عن البلد الذي شاركوا في حمل عبء الذود عنه إبان المعركة. ولقد قررت دون أي إكتراث بهذه الشائعات والصعاب التى تواجهنى أن أباشر سلطاتى كاملة واتخذت مبنى البلدية مقرا مؤقتا للمحافظة، وأبلغت السلطات البريطانية رفض وجود أية حراسة بريطانية، ووجهت نداء إلى ضباط وجنود البوليس المصرى في بورسعيد للاجتماع بى.

١٠ نوفمبر ٥٦

على أثر النداء الذى وجهته أول أمس، اجتمع بى صباح اليوم فى مبنى البلدية حوالى ٣٠٠ عسكرى وصف ضابط وقد وجهت إليهم كلمة أشدت فيها بالأعمال الباسلة التي يقوم بها رجال البوليس فى بورسعيد، وتفاهمنا فى هذه المقابلة على أن يستمر كل منا فى تأدية عمله كما يقضى الواجب. ولقد لمست روحا عالية لدى الجميع واستطعنا أن نجمع فى نهاية اليوم حوالى ٨٠٠ جندى، ولكنهم كانوا لا يحملون سلاحاً، إذ سرق الإنجليز والفرنسيون كل ما كان هناك من سلاح وحضر، إلى دار المحافظة بعض موظفى المصالح الحكومية كالشئون الاجتماعية

والصحة العمومية والبلدية ليسألوا عن الوضع بالنسبة لهم فى دائرة عمل كل منهم وقد اقتنعوا جميعاً بأننا نؤدى خدمة وطنية كبرى فى هذه الظروف العصيبة. وأحمد الله إذ وفقنا وبدأنا بعد ذلك نسيطر على الموقف رويدا رويدا، وبدأ رجال البوليس يتلقون السلاح، واستطعنا بالسلاح الذى وصلنا بطريقة ما أن نمنع وقوع حوادث النهب والسلب التى كان رجال القوات البريطانية يقومون بها، إذ أنهم عندما لاحظوا وصول السلاح إلى جنودنا إمتنعوا عن التحرش بهم أو الإقدام على جرائمهم دون خوف كما كان الحال قبلا.

وضاعف من شعورى بالراحه رغم هذه الأحداث، ذلك الموقف المشرف الذى وقفه العمال المصريون، فلقد حاولت السلطات العسكرية عبثا أن ترغبهم ليقوموا بشحن وتفريغ سفنهم، فأعلنت عن حاجتهم لعشرة آلاف عامل وبأجور مرتفعة للغاية، وقد استطاع أفراد المقاومة الشعبية وضباط البوليس أن يقضوا على هذه المحاولة كما ساعد الوعى القومى بين العمال على مجابهة هذه المحاولات الاستعمارية.

وبدلا من أن يسرع العمال إلى الإرتماء تحت قدمى المستعمر كما توقع (إيفانز) وزملاؤه، سارع هؤلاء العمال الأبطال إلى السلاح يحملونه وإلى فرق المقاومة الشعبية

ينضمون إليها.

ولا يفوتنى أن أسجل هنا أن إنجلترا لم تسلم بالوضع هكذا، وإنما لجأت كعادتها إلى الخداع، وحاولت بشتى الطرق أن تحطم هذه الوحدة الشاملة من عمالنا، ولكن المقاومة وصلت الذروة، وكانت مثلاً وطنيا أعلى فريداً فى التضحية وإنكار الذات خصوصا وقد تعطلت طوائف العمال جميعا عن كسب أرزاقهم بعد غلق القناة اثر الإعتداء الغاشم لكن وطنية عمالنا كانت أقوى من كل شيء حتى من الأحداث.

التعاون المرفوض

وحاول الإنجليز أن يشركوا البوليس المصرى معهم فى بعض الأعمال، حتى يكون ذلك مظهرا من مظاهر التعاون وتمشيا مع هذه الخطه، طلب الجنرال إستوكويل أن يمر معى فى المدينة لتفقد حالة التموين، ورفضت قائلا. إن حالة التموين طيبة، وعاد إستكويل يطلب منى أن يشترك البوليس مع الدوريات الإنجليزية فى تفتيش المنازل للبحث عن الأسلحة، وزعم أن فى اشتراك البوليس حماية لأصحاب المنازل وضمانا لعدم الإعتداء على الأهالى، فرفضت أيضاً، ولكن الإنجليز عادوا فى إلحاح يطلبون إجابته، وقلت له وأنا أعبر عن شعور كل رجل من رجال البوليس بالفعل.. إن ضباط البوليس سيرفضون تنفيذ

أمراً كهذا وليس من المعقول أن أصدر أمراً إلى رجالى ليسهلوا للقوات الإنجليزية دخول منازلنا وإهدار كرامتنا وحتى لو فعلت فإن ضابطا واحدا لن يطيع ما أمر به. وتمسكت فى أن تكون الدورية من البوليس المصرى.

وفى مدينة بورفؤاد التى كانت تحت سيطرة الفرنسيين حاولوا إصدار تصاريح لاستعمالها فى ركوب المعدية بين بورسعيد وبورفؤاد، على أن يشترك فى توقيعها البوليس المصرى والسلطات الفرنسية، فتمسكت بأن البوليس المصرى وحده هو الذى يوقع التصريحات وقد نفذ ما أمرت به ولجأ الإنجليز إلى خيلة أخيرة، إذ عرضوا علىّ شراء عشرة أطنان من الخضروات الواردة من قبرص لتموين المدينة، ورفضت أيضاً، وهكذا فسدت خططهم لخلق أى مجال للتعاون.

وكان القائمقام حسن رشدى قد أخبرنى فى الأيام الأولى لوقوع الغزو أن الجنرال إستكويل قد استدعاه لمقابلته وطلب منه التعاون مع السلطات فرفض، وأبلغنى أيضاً أنه شخصيا يحمل رسالة هامة إلىّ مضمونها أن أغادر ورجال البوليس بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة، ولما كان غير موثوق من صدور رسالة كهذه من المسئولين، فقد رفضت تنفيذ الأمر معللا ذلك بشىء طبيعى هو: أن آخر تعليمات للسيد الوزير

تلقيتها وأبلغتها إلى اللواء الباجورى كانت تقضى بعدم التعاون وهذا معناه أن نباشر أعمالنا دون تعاون مع القوات المعتدية.

اعتقال وتشاور

وحدث أن وقعت مشادة بين القائمقام أحمد مرسى وبين أحد الضباط الإنجليز الذى أراد مقابلتى فرفضت مقابلته وظن هذا الضابط الإنجليزى أن القائمقام مرسى يحول بينه وبين مقابلتى فأنذره بأن هذا التصرف سيثير المتاعب، وفى اليوم التالى قبضت السلطات البريطانية عليه وعلي السيد البهنساوى وعلى اليوزباشيين بهاء الشربينى وأحمد مختار وكانا يعاونان فى المقاومة السلبية. ولقد اعتبرت اعتقال هؤلاء الأربعة ماسا بى فقررت أن أحتج لدى الجنرال إستكويل، وبالفعل أبلغته احتجاجى، وكان حاضرا معنا فى هذه المقابلة البريجادير إيفانز ولما سألتهم عن سبب إعتقال هؤلاء الضباط أجابوا بأن اعتقالهم مبعثه إلى قيامهم بدعايات ضد القوات البريطانية. ولكن إيفانز وإستكويل جادلانى طويلا وخرجت من هذه المقابلة، وأنا أفهم بوضوح هذه الحقيقة إن السلطات العسكرية بدأت تضيق ذرعا بالبوليس.

ولما عدت إلى منزلى أخبرنى السيد الحكمدار أن لفيفا من الضباط بالبوليس قد زارونى مجمعين على النضال وصد

العدوان، وقد استأذن ضابطان فى الاختفاء حتى لا يعتقلهما العدو وليمكنهما من مخبأيهما أن يقوما بواجبهما فأذنت لهما. أما الأول فقد اختفى بالفعل وأما الثانى فقد اعتقلته السلطات الفرنسية فى منزله ببورفؤاد.

بلاغ وإنذار

قابلنى الجنرال تشرشل وكان قبل الجلاء فى الإسماعيلية وقال لى إنه يزورنى ليبلغنى أن مهمته الآن هى تأمين سلامة القوات البريطانية بالمدينة وأنه يعلم أن هناك بعض الجمعيات السرية وأنه يبلغنى إذا وقع أى إعتداء على القوات العسكرية فإنه سوف يقابل بإجراءات صارمة. وأضاف أن الإنجليز قد تساهلوا فى حوادث ٥٣-١٩٥٤، ولكن عام ١٩٥٦ له وضع مختلف. فأجبته لأصرفه أنه لا علم لى بالجمعيات السرية. وقال رداً على سؤال لى عما إذا كان ثمة إعتداء قد وقع عليهم بأنه لم يحدث، ولكنه يحذر من وقوعة مستقبلا، ثم وصلت المقاومة السلبية إلى ذروتها، وشكا الإنجليز لى من إمتناع المقاولين والعمال عن العمل، وقالوا لى إلى متى يصمد هؤلاء وقد انقطعت أرزاقهم وأنه لا جدوى من هذه المقاومة وإن من واجبى أن أشفق عليهم فى هذه المحنة وأصرح لهم بالعمل مع السلطات العسكرية وهى فى هذه الحالة على استعداد لمنحهم أجوراً

سخية فقلت له إنه لا يمكننى أن أفعل ذلك على الإطلاق فهناك الشعور القومي، وهو كفيل بأن يمزق كل من يحاول معاونة الأنجليز، وهناك الأمر العسكرى الذى أصدره الحاكم العسكرى العام، بمنع التعاون مع رعايا الأعداء ويفرض عقوبة شديدة على مخالفته، وعلى أننى سأدبر للجميع حاجات العيش بما لدى من إمكانيات محدودة.. وفوجئت بالمتحدث الإنجليزى يقول لى: سوف نحمل جميع العمال معنا ونشغلهم بالقوة وسوف يكون استخدام العنف معهم حلا طبيعياً لتشغيلهم قال هذا وانصرف.

وفى صباح اليوم التالى فوجئت بمدير مكتب العمل فى بورسعيد يدخل علىَّ مكتبى يقول لى: لقد طلب الإنجليز الآن كشوفا بأسماء وعناوين العمال المصريين جميعهم فى المدينة. وربطت بين ما قاله متحدث القيادة البريطانية أمس وما يقوله لى مدير مكتب العمل اليوم وأدركت الخطة الجنونية التى قرر أعوان إستكويل أن يستخدموها. وكانت هذه الخطة قطعا هى أن يلجأ الإنجليز بعد الحصول على أسماء وعناوين العمال إلى إجبارهم على العمل تحت تهديد السلاح بعد أن فشلت وسائل الترغيب المتكررة التى بذلوها مع المسئولين كى يحملوهم على إجبار العمال المصريين على التعاون معهم، وقلت لمدير مكتب العمل إرفض إجابة هذا الطلب ولا تقدم لهم أية معلومات أو كشوف

وأنا مسئول عن كافة ما يترتب على هذا الرفض. ويبدو أن السلطات البريطانية قد خشيت من أن تتخذ أى إجراء لتشغيل العمال بالقوة فعمدوا إلى محاولة أخرى وقد اعتمدوا فى هذه المحاولة على وضع معين، فقد أغلقت المتاجر التى تبيع البضائع الشرقية أبوابها كى لا تتورط فى البيع للقوات العسكرية فلجأ الإنجليز إلى محاولة فتح هذه المحلات كبداية لتحطيم المقاومة السلبية. وتنفيذاً لهذه الخطة وجه البريجادير إيفانز نيابة عن جنرال إستكويل إنذارا إلى بعض التجار المصريين واليونانيين وجاء فى هذا الإنذار أن هؤلاء التجار إذا لم يبادروا بفتح محلاتهم التجارية والتعاون مع القوات البريطانية فسوف تتخذ ضدهم أعنف الإجراءات بمقتضى إتفاقية جنيف عام ١٩٤٩، وكان موقفا وطنيا مشتركا عندما رفض التجار جميعا الرضوخ لهذا الإنذار وحضر إلى مكتبى وفد من هؤلاء التجار المصريين واليونانيين يسألون الرأى بعد أن رفضوا قبول هذا الإنذار، وقد شكرت لهم هذا الموقف وأفهمتهم أن يرفضوا إجابة هذا الطلب أو أى طلب آخر مماثل مستقبلا. وفى اليوم التالى قامت القوات البريطانية المعتدية بتنفيذ الشطر الأول من إنذارها بأن اعتقلت هؤلاء التجار وترتب على هذا الإجراء أن أغلقت بقية المتاجر الأخرى وهى من

المحلات الوطنية التى لا يتردد عليها الإنجليز أبوابها احتجاجا على هذه الإجراءات وبدت جميع المتاجر فى حالة إضراب عام.

إيفانز يتهم البوليس

وحضر إلى مكتبى ليبلغنى أنه يتهم رجال البوليس المصرى بأنهم قد أوعزوا إلى التجار بإغلاق محلاتهم، فكان ردى عليه أن التجار قد فعلوا ذلك بوحى من وطنيتهم، وأضفت إلى ذلك أنه قد وقعت فى يدى صورة من الإنذار شديد اللهجة الذى وجهته القيادة البريطانية إلى التجار المصريين واليونانيين، وقد أدهشتنى لهجته التى تثير النفس، وقلت له إننى أريد منه أن يجيب على هذا السؤال: كيف يوجه مثل هذا الإنذار إلى التجار ويتم اعتقالهم لمجرد إتاحة الفرصة للجنود الإنجليز لشراء بعض الحاجيات الكمالية. ولم يجب إيفانز ووجدتنى استطرد فأقول له: إن تصرفه كان شاذا، وأن النتائج التى يمكن أن تترتب على استمرار اعتقال التجار ستكون بالغة الخطورة، وفى اليوم التالى أفرج عن التجار المعتقلين، بينما بقيت محلاتهم مغلقة ورفضوا بإصرار أن يتعاونوا مع القوات المعتدية.

١٦ نوفمبر ٥٦

تلقيت اليوم بطريقة ما من القاهرة مبلغ ثلاثين ألف جنيه، وقد قمت بتأليف لجان فى أقسام البوليس لحصر العائلات التى

تدفعها الظروف التى تمر بها المدينة إلى طلب معونة تساعدها على تدبير شئون حياتها، وقد تم توزيع المبلغ كله ثم وزعت أيضاً عشرة آلاف جنيه أخرى. وقابلنى السيد مراقب الشئون واتفقنا على تدبير المبلغ الكافى لفتح المطاعم الشعبية وإدارة الملاجئ وتوزيع الطعام وزودته بالمبلغ المطلوب. ولم تكن الصلة مقطوعة تماماً بين بورسعيد والقاهرة، كما كان العدو يظن فبمختلف الوسائل كانت حاجات المدينة فى حدود الإمكان تصلنا وبإنتظام من العاصمة، فتوالت علينا المواد التموينية التى وزعت على مراقبة الشؤن الاجتماعية وجمعية الهلال الأحمر التي تولت توزيعها على الأفراد. وقد تم صرف مرتبات جميع موظفى وعمال المدينة عن شهر نوفمبر. وقد أصدرت اليوم أمرا عسكريا إلى البنوك الأجنبية ومنها الإنجليزية والفرنسية والتى وضعت تحت الحراسة، إلا أنه بالنظر للظروف التى نعيش فيها لم يتيسر تعيين حراسة لها، أقول أصدرت أمراً عسكريا إليها بصرف مرتبات موظفى وعمال الشركات الأجنبية والمصرية وبعض رجال الأعمال الذين لهم أو لشركاتهم أرصدة فى هذه البنوك، وقد كان الأمر العسكرى صريحا فى أن تصرف هذه المرتبات للموظفين والعمال فى هذه الشركات أيا كانت جنسيتهم وهكذا تم صرف كافة المرتبات والأجور لمختلف

الطوائف.

أمر عسكرى مضاد

ويبدو أن القيادتين البريطانية والفرنسية قد حاولتا أن تخولا لنفسيهما سلطة محافظ المدينة، فما كدت أصدر الأمرين العسكريين أنفا الذكر، حتى أصدر القائد الإنجليزى أمراً عسكرياً إلى البنوك الإنجليزية بتمكين عملائها من استلام ودائعهم كما أصدر القائد الفرنسى أمراً مماثلاً إلى البنوك الفرنسية، ولقد اخطرتنى هذه البنوك بصورة من الأمر العسكرى المذكور، مشفوعة بالاحتجاج الذى أرسلته هذه البنوك إلى القيادتين البريطانية والفرنسية.

خداع وتضليل

وقد حاول جنرال إستكويل رغبة منه فى أن يضلل الرأى العام العالمى، وأن يتلمس لدى المواطنين فى بورسعيد أسباب المهادنة. أن يعيد استئناف الدراسة فى المدارس المصرية والأجنبية فى بورسعيد واتصل بى فى هذا الشأن ولكننى أبلغته أننى أرفض إجابة هذا الطلب ولم أناقش معه أسباب الرفض وهى تخريب وإتلاف أغلب المدارس بسبب العدوان على المدينة، وما تبع ذلك من هجرة الكثيرين من الطلبة والمدرسين فضلا عن أنه لم تكن هناك أية ضمانات يمكن معها أن نطمئن على الطلبة

من خطورة انتشار قوات العدو في طرقات المدينة.

ولقد عاد الإنجليز ووجهوا هذا الطلب إلى مدير عام التربية والتعليم ببورسعيد، ولكنه رفض بدوره هذا الطلب، وقال إن الدراسة معطلة في جميع أنحاء جمهورية مصر وأن بورسعيد جزء من الجمهورية ينطبق عليها هذا القرار.

تهديد الجاليات الأجنبية

وفجأة إنهالت على الجاليات الأجنبية في المدينة حتى الإيطاليين واليونانيين والسويسريين والأمريكيين سيل من خطابات التهديد ومنشورات تنذر باعتداءات دون أن يذكر ناشروها مصدرها أو أن يظهروا على مسرح إجراءاتهم الشاذة الإجرامية، وكانت هذه الخطابات والإنذارات تقول إن على هؤلاء الأجانب سرعة مغادرة المدينة وإلا تعرضت حياتهم وحياة ذويهم للخطر، وقد أبلغني كل من القنصل الأمريكي واليوناني والإيطالي بالتهديدات التي تلقاها رعاياهم في المدينة. ولقد استطاع ضباط البوليس في المدينة أن يتوصلوا إلى سر هذه التهديدات، وكانت مفاجأة غريبة لنا عندما اكتشفنا إن إدارة المخابرات البريطانية كانت هي صاحبة فكرة إشاعة الذعر بين الأجانب في بورسعيد كي يبادروا بالفرار والهجرة فيكون ذلك مدعاة للقول بأن حياة الأجانب في بورسعيد وهم كثرة في خطر

بالغ اضطروا معه إلى مغادرتها، وما يترتب على إشاعة مثل هذه الدسيسة من فقد مصر فى الخارج لتأييد هذه الدول أو بعضها ممن ينتمى إليها الرعايا الذين أراد قلم المخابرات البريطانى أن يفزعهم بهذه الأعمال الصبيانية، ولقد قلت لممثلى الدول الأجانب فى بورسعيد أننى أكفل سلامة الأجانب جميعاً فى بورسعيد، وأننى مسؤل شخصياً عن حمياتهم فى كل وقت، وأن البوليس المصرى سيبذل كل جهده لكي يحبط هذه المحاولات الدنيئة من جانب المخابرات البريطانية.. وقد اقتنع بعضهم بهذا المنطق السليم وفى الوقت نفسه قالى لى قنصل إيطاليا وقنصل اليونان..! لا!.. فقلت لقنصل اليونان وقنصل إيطاليا أن مغادرة رعايا دوليتهما للمدينة غير قانونى لعدم إشراف السلطات المصرية على الميناء، وكان ردهما أنهما يدركان الموقف القانونى، ولكنهما مصران على أن الظروف الحالية محفوفة بالخطر، ولذا فهما يرغبان فى ترحيل رعاياهم.

وصول القوات الدولية

وصلت الفرقة الأولى من قوات الطوارئ الدولية إلى بورسعيد وهى الفرقة النرويجية وقوامها ١٧٥ جنديا و١٥ ضابطا وأستقبلهم الأهالى بحماسة بالغة هاتفين بحياة السيد الرئيس.

وفوجئت بحادث همجى أقدمت عليه دورية فرنسية عندما

أطلق أفرادها الرصاص على ولدين مصريين صغيرين فقتلا في الحال.

وفور وصول القوة النرويجية إلى بورسعيد زارني كولونيل (مو) برفقته ماجور (كارتر) وأخبرني الأول أن مهمته هي منع الاحتكاك بين القوات العسكرية البريطانية والفرنسية وبين الأهالي المصريين، وقال إن حضوره على رأس قوته إلى بورسعيد قد تم بموافقة الحكومة المصرية وأضاف أنه سيعود إلى القاهرة في اليوم نفسه على أن يتولى ماجور كارتر قيادة القوة في غيبته.

ومضت أيام زارني بعدها ماجور كارتر ليسلمني رسالة تلغرافية من كولونيل (مو) يبلغني أنه بموافقة الحكومة المصرية ستعمل القوة النرويجية على إعادة الحياة العادية إلى مدينة بورسعيد.

ولكن وقع بعد ذلك حادث ارتكبته القوات البريطانية وأدعت أنه وقع عفوا وهو حادث قتل الكونستبل المصرى لطفى قامش أثناء إشرافه على توزيع الغاز للأهالي في طرقات المدينة، وقيل إن عياراً ناريا انطلق خطأ من أحد الجنود الإنجليز، وأصاب الكونستبل في مقتل، وقد احيطت قيادة القوات النرويجية علما بتفاصيل هذا الحادث، كما وقع لا كما حاول الإنجليز تصويره

وهو أنهم أطلقوا الرصاص عمدا قاصدين قتل الكونستبل المصرى بغير سبب معقول. ووقعت بعد ذلك حوادث نهب وسرقة واعتداء من القوات البريطانية والفرنسية على المواطنين المصريين ضاربة عرض الحائط باختصاصات البوليس الدولى مكررة أكاذيبها وتنصلها كلها ووجهت بجرائم جنودها .. و.. وما أكثر ما ارتكبوه. وقد بلغ عدد القوات حتى هذه اللحظة (لحظة كتابة اليوميات) ١٥٠٠ من السويد والنرويج والدانمارك وكولومبيا والهند، وتلا ذلك وصول القوات اليوغوسلافية والتى كانت بقيادة كولونيل (أنجلهم). وقد نظمت عمليات الاتصال بين هذه القوات وبين البوليس المصرى وهى تقوم بدوريات نهارية وليلية فى الحى الأفرنجى.

مصير الأسرى والمعتقلين

كنت قد طلبت إلى الكولونيل إنجلهم قائد قوات الطوارئ الدولية احاطتى علما بمصير الأسرى العسكريين والمعتقلين المصريين، وكان ذلك منذ عدة أيام وفى يوم ٤ الماضى اتصل بى ليبلغنى أنه علم من الجنرال إستوكويل أن جميع الأسرى والمعتقلين من العسكريين والمدنيين ستتسلمهم قوات الطوارئ الدولية من السلطات العسكرية عند انسحاب قوات العدوان، وتقوم قوات الطوارئ الدولية بعد ذلك بتسليمهم إلى السلطات

المصرية.

أسلحة البحيرة ترعب العدو

ومن الحوادث التي مرت بي وكان لها أكبر الدلالة على فزع قوات العدوان أنه حدث أن ضبطت كميات من الذخيرة والأسلحة في قارب للصيد ببحيرة المنزلة. كما ضبتت كميات أخرى مدفونة في قرية (القابوطي)، وعلى أثر ذلك أصدر الجنرال إستوكويل أمراً بمنع الصيد في بحيرة المنزلة، وحدث أيضاً أن احتج إستوكويل لدى قائد القوات الدولية على بعض الرسوم الكاريكاتورية، والعبارات التي كان أفراد المقاومة الشعبية يكتبونها على الحوائط في المدينة واعتبرها ستوكويل ماسة به وبإيدن، حتى أنه قال لقائد قوة الطوارئ الدولية: إن قواته إذا كانت عاجزة عن منع مثل هذه العبارات فسيعمل ستوكويل بنفسه على منعها.

خطف مورهاوس

وأذكر أيضاً أن بريجادير إيفانز حضر إلى منزلي في الساعة التاسعة من صباح أحد الأيام في الأسبوع الماضي ليبلغني أن حادثا خطيرا قد وقع. إذ خطف بعض الشبان المصريين ضابطا بريطانيا برتبة الملازم. بينما كان يقود سيارة چيب في شارع رمسيس في الساعة السابعة صباحاً.

وأن الجنرال ستوكويل يرجو أن تتيسر له مقابلتي وأضاف إيفانز أن ستوكويل ينتظرني في استراحة هيئة إدارة القناة. فأبلغته أنني سوف أقابله. وعندما قابلته كان منزعجاً للغاية وقال لي: إنه يرجو إذا لم تتيسر إعادة مورهاوس أن يعامل معاملة طيبة كمعاملة أسرى الحرب ووعدته خيرا. ولم يكن يبدو عليه أنه ينوى القيام بعمل انتقامي بسبب اختطاف الضابط، ويبدو أنه كان قد أدرك أن مثل تلك الأعمال لا تجدى، وأنه لا فائدة ترجى من ورائها. وكان الإجراء الوحيد الذى اتخذه ستوكويل هو منع تجول السيارات في المدينة إلا بتصريح، وقد تلقيت تصريحا لسيارتي صادرا من القيادة البريطانية فأعدته مرفوضاً. واستدعيت قائد قوة الطوارئ الدولية وأبلغته أن ينقل إلى جنرال ستوكويل أن سيارتي مميزة بلونها وبالعلم المصرى الذى على مقدمتها وأننى أرفض استخدام تصريح تصدره القيادة البريطانية.

مقتل وليامز في شارع رمسيس

ويبدو أن شارع رمسيس كان له نصيب كبير من نشاط أفراد المقاومة الشعبية ففى اليوم التالى لاختطاف مورهاوس كان الماجور وليامز ضابط الشئون المدنية للجيش البريطاني يسير بسيارته مع زميله الماجور ريفز في شارع رمسيس عندما تقدم

إليه أحد أفراد المقاومة الشعبية ومد يده بالتماس مكتوب ليوهمه أنه يطلب منه معونة ما بينما كان يحمل فى يده اليمنى رغيفاً من الخبز وما إن اقترب منه وليامز حتى سارع الفدائى المصرى بقضم رغيف الخبز الذى كان يحتوى فى الواقع على قنبلة يدوية، وانتزع بذلك مسمار الأمان منها وقذف بها وليامز فانفجرت وأصابته فى ساقه كما أصابت شظاياها بعض القريبين من مكان الحادث. واختفى الفدائى المصرى دون أن يتمكن أحد من القبض عليه. بينما أطلق ريفز النار فى حركة هيستيرية فأصاب يونانيين كانا يعبران الطريق بإصابات خطيرة. وحتى مساء يوم ١٤ ديسمبر لم يتصل بى أحد من الجيش البريطانى فى هذا الحادث ولكن فى مساء هذا اليوم حضر إلى منزلى البريجادير إيفانز يسألنى عن نتيجة تحريات البوليس فقلت له.. إنه إذا شاء المحافظة على ضباطه وجنوده فعليهم أن يمتنعوا نهائياً عن الظهور فى شوارع المدينة إلى أن يتم الإنسحاب نهائيا وإلا فلا توجد قوة تستطيع أن تحميهم من غضبة الشعب الثائر من أجل حريته ومن أجل بلده ومن أجل شهدائه.

ولقد اثبتت الحوادث صدق نظريتى إذا اشتدت فى يومى ١٤، ١٥ المقاومة وكانت قوات العدوان البريطانى تلقى القنابل وتطلق الرصاص فى الشوارع لتوهم دوريات قوات الطوارئ الدولية أن الفدائيين المصريين أو البوليس المصرى هو الذى يلقى هذه القنابل عليهم. ولكن خاب غرضهم إذ سرعان ما اكتشفت قوات الطوارئ الدولية هذه الخدعة. وفى يوم ١٥ ديسمبر أغلقت السلطات البريطانية بالأسلاك الشائكة المنطقة التى تقع شرقى شارع السلطان محمود شمالاً حتى التقائه بشارع مصطفى كامل وبات غير مسموح لسكان هذه المنطقة بالخروج منها إلا إذا ختمت أيديهم ضمانا لعدم تسلل الفدائيين إلى هذه المنطقة. وفى الساعة الرابعة مساء حضر إلى منزلى البريجادير إيفانز وضابط من قوة الطوارى الدولية وأبلغنى أن الجنرال ستوكويل يرغب فى مقابلتى لشئون هامة، وما أن التقينا حتى بادرنى ستوكويل بقوله إن حوادث العدوان قد زادت وأن الجنرال بيرنز يبحث هذا الأمر، وأن مسئوليتى كاملة عن هذه الحوادث باعتبارى محافظا للمدينة، وأنه قد أغلق بالأسلاك الشائكة قطاعا من المدينة سيكون مسئولا عنه. أما باقى المدينة فقد سلمها لقوات الطوارئ الدولية. وأنذر بأنه إذا لم تتوقف هذه

الحوادث فسوف يضرب المدينة بالطائرات والدبابات، وأشفع هذا الإنذار بقوله إنه استحضر ثلاث حاملات طائرات لكى تقوم بهذه المهمة وقدم لى احتجاجاً يحمل تاريخ ١٥ ديسمبر قال لى عنه إنه صورة من الاحتجاج الذى أرسله إلى الجنرال بيرنز، وكان الاحتجاج على الوجه التالى:

فى ٨ ديسمبر تسلل ضابط بوليس ومعه ثلاثة جنود فى خطوط الكاب.

فى ٩ ديسمبر ضبطت مطبعة تطبع المنشورات ومطبوعات تحض على كراهية الإنجليز ومقاومتهم

فى ١٠ ديسمبر ألقيت عدة قنابل على دورية بريطانية وقبضت السلطات البريطانية على أربعة من المواطنين المصريين بتهمة إثارة أهالى بورسعيد ضد قوات العدوان.

فى ١١ ديسمبر خطف الملازم مورهاوس

فى ١٢ ديسمبر ضبط ١٤ شخصاً حاولوا دخول بورسعيد خلسة عن طريق بحيرة المنزلة يحملون أسلحة، وفى نفس الوقت أطلقت النيران على دورية بريطانية وألقيت قنبلة على وليامز.

فى يوم ١٣ ديسمبر أطلق النيران على دورية إنجليزية وضبطت كمية من الأسلحة مخبأه.

فى يوم ١٤ ديسمبر إلقيت ١١ قنبلة يدوية على دوريات

العدو.

وطلب جنرال ستوكويل فى تقريره ضرورة وقف العمليات محتفظاً لنفسه الحق فى إتخاذ الإجراءات التى يراها.

عدوان.. وثأر

وفى اليوم التالى وحوالى التاسعة صباحاً وصلت قوة كبيرة من قوات الإنجليز تحرسها دبابات كثيرة وحاصرت هذه القوات المنطقة الواقعة عند ملتقى شارعى صفية وسعد زغلول فى مواجهة سينما مصر، وقامت بالقبض على سكان هذه المنطقة من رجال وشبان وأطفال، واعتقلتهم فى معسكر بريطانى بملعب الكرة للنادى المصرى، ثم توجهت إلى منازلهم ومتاجرهم واعتدت على بعض ضباط البوليس الذين حاولوا أن يمنعوا استمرار هذا العدوان.

وفى مساء اليوم نفسه ألقى الفدائيون القنابل على بعض الدبابات والدوريات البريطانية.

١٦ ديسمبر ٥٦

حضر إلى مكتبى ضابط اتصال قوة الطوارئ الدولية يبلغنى أن منطقة معينة تجاور المنطقة البريطانية قد أحيطت بالأسلاك الشائكة وأخبرنى أن هذا القطاع سيكون تحت إشراف قوات الطوارئ الدولية. وبمقتضى هذا الوضع أصبحت هناك منطقة

محرمة بين القطاع المحتل بالقوات البريطانية المعادية، وبين باقى المدينة التى تركت للبوليس المصرى. ومر يوم ١٦ ديسمبر هادئا ولم تقع فيه حوادث.

١٧ ديسمبر ٥٦

أطلقت دورية بريطانية النار على بائع لبن اقترب من الأسلاك الشائكة فى المنطقة الواقعة تحت الإشراف البريطانى، كما اخترقت سيارة چيب فرنسية المنطقة الداخلية تحت إشراف البوليس المصرى وأطلقت عدة أعيرة طائشة، وتدخل البوليس المصرى فوراً وطرد السيارة ومن فيها.

١٨ ديسمبر ٥٦

أبلغنى الجنرال ستوكويل أن عمليات الانسحاب تتم بسرعة ولكنه لا يستطيع أن يخطرنى بالموعد النهائى. كما أبلغنى أنه يريد أن يعرف ماذا تم فى موضوع اختطاف الملازم مورهاوس وقال: إنه إذا أعيد هذا الضابط فهو على استعداد لأن يسلمنى الأسرى المصريين المعتقلين لديها.

ووصلت اليوم قوة مكونة من ٣٥٠ جنديا من جنود البوليس المصرى فاستقبلها أهالى بورسعيد استقبالاً رائعا.

١٩ ديسمبر ٥٦

أبلغنى جنرال ستوكويل أنه قد تم الاتفاق على تبادل الأسرى والمعتقلين فى القاهرة، وأنهم سيحضرون فى اليوم التالى إلى بورسعيد، وسيجرى تسليم الأسرى بعد وصول هؤلاء

٢٠ ديسمبر ٥٦

اجتمعت اليوم بالجنرال ستوكويل والكولونيل إنجلهم قائد القوات الدولية وأبلغنى أن السلطات المصرية قد اشترطت لتسليم الخبراء الإنجليز إعادة الأسرى والمعتقلين بمعرفة السلطات الفرنسية، وأنهم قد أعيدوا بالفعل بعد ترحيلهم وينتظر أن تتم عملية التبادل فى اليوم التالى.

٢٢ ديسمبر ٥٦

أخطرنى جنرال ستوكويل بحضور الكولونيل إنجلهم قائد القوات الدولية فى بورسعيد أن الإنسحاب يتم اليوم، وطلب أن يبلغه هل لا يزال هاوس على قيد الحياة أم أنه قد مات، ثم قال ستوكويل موجها حديثه إلى قائد القوات الدولية: أود أن أبلغ القوات الدولية للأمم المتحدة أن محافظ القنال قد واجه الموقف بشجاعة وكفاءة، وأن المقاومة السلبية قد نجحت نجاحاً كاملاً فلم تقدم لنا أية مساعدة من أى جهة من الجهات.

الانسحاب

وقد تم مساء اليوم ٢٢ (ديسمبر) انسحاب القوات المعتدية وعادت الأرض المصرية والمدينة الباسلة إلى أهلها مرفوعة الرأس موفورة الكرامة.

الفصل السادس

يوميات الملحمة.. أيام هى التاريخ
من ٢٩ أكتوبر إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦

كتب إيدن في مذكراته ملخصاً للمؤامرة الإنجليزية الفرنسية الإسرائيلية على مصر وشارحاً خطة هذه المؤامرة فقال: (لقد أجريت مشاورات مع فرنسا فى يوم وقررت من حيث المبدأ ما يجب عليها أن تفعله فى حالة نشوب النزاع ورئى أن تطلب الحكومتان الفرنسية والبريطانية فوراً من الفريقين أن يوقفا الأعمال العدوانية بينهما وأن يسحبا قواتهما إلى مسافة من ضفتى القنال فإذا رفض أحدهما أو كلاهما الإمتثال إلى هذا الطلب بعد مدة معينة فإن القوات البريطانية والفرنسية، ستتدخل كإجراء مؤقت للفصل بين الفريقين المتحاربين وحتى ينجح هذا الإجراء فى تحقيق الغرض منه تقرر أن تحتل القوات البريطانية الفرنسية المواقع الرئيسية فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس، وكانت القيادة الفرنسية الإنجليزية المشتركة قد

وضعت هذا المشروع بعد أن عكفت على دراسة المشكلة منذ نهاية شهر يوليو).

وبناء على خطة المؤامرة التي شرحها إيدن فقد أعلنت إسرائيل في الثامن والعشرين من أكتوبر ٥٦ التعبئة العامة.

٢٩ أكتوبر.. بدأت المؤامرة

في غروب يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ تحركت قوات مدرعة ضخمة من الجيش الإسرائيلي من ميناء إيلات زاحفة نحو سيناء واسقطت الطائرات الإسرائيلية قوات المظلات في سدر الحيطان ثم اجتازت قوات العدو منطقة الحدود عند الكونتلا وهي إحدى نقط مراقبة سلاح الحدود المصري المنتشرة على طول الحدود وكانت تحرسها جماعة من رجال الحدود مسلحة بالبنادق والرشاشات الخفيفة ومجهزة بوسائل الإنذار، وكانت الخطة الإسرائيلية مبنية على التحرك في أربعة محاور على الجبهة المصرية وهي:

- المحور الأول إيلات – الكونتلا – نخل – سدر الحيطان – ممر ميتلا – السويس.
- المحور الثاني القسيمة – أم قطف – أبو عجيلة – الإسماعيلية.
- المحور الثالث رفح – العريش – القنطرة – غزة

- المحور الرابع إيلات - رأس نصراني - شرم الشيخ.

الأوضاع الدفاعية المصرية

عندما بدأ العدوان الإسرائيلي على سيناء مساء ٢٩ أكتوبر كانت أوضاع مصر الدفاعية في ذلك اليوم كما يلي:

١- قطاع غزة : وكان الحرس الوطني وحدة يتحمل مسئولية الدفاع عنه مع الطلائع الأولى من جيش فلسطين بدون عتاد ثقيل.

٢- خط الحدود المصرية الفلسطينية: وكانت هناك ست كتائب من القوات المسلحة النظامية تتولى الدفاع عنه على النحو الآتي:

أ - قاعدة رفح: ويتولى الدفاع عنها الكتيبتان ١٤، ١٥ مشاه ومعهما الأسلحة المعاونة.

ب - قاعدة العريش: وكان يتولى الدفاع عنها اللواء الرابع المشاه بأسلحته المعاونة ومنها أورطة من دبابات الشيرمان الأمريكية وكانت العريش منطقة الشئون الإدارية.

جـ - قاعدة أم قطف: وكان بها اللواء السادس من الكتيبتين ١٧، ١٨ ومدفعية مساعدة.

د - أبو عجيلة: وكان يتولى الدفاع عنها كتيبتان من المشاة بأسلحتها المعاونة.

هـ – قاعدة الجنوب بمنطقة شرم الشيخ: وكان يتولى الدفاع عنها كتيبة مشاه واحدة هى الكتيبة ٢١ وبطاريات مدفعية ساحلية من عيار ست بوصات مكونة من مدفعين فقط.

٣– خليج السويس: وكان به اللواء الثانى وقد أرسلت معه الكتيبة السادسة وسريتان من الكتيبة الخامسة إلى ممر ميتلا والسريتان الباقيتان فى وادى سدر وأما الكتيبة الرابعة فكانت فى بورسعيد.

وفيما عدا ذلك لم تكن لمصر قوات فى سيناء. أما القوة الضاربة بالجيش المصرى فقد كانت تعسكر غربى القناة تحسبا للعدوان الفرنسى الإنجليزى.

– وقد كان تقدير مصر العام للموقف الذى بنى على أساسه توزيع القوات المصرية على النحو السالف بيانه كما يلى:

١– إذا كان هدف إسرائيل من الهجوم القيام بغارات فإن اتجاهها يجب أن يكون إما قطاع غزة وإما إلى مواقفنا المتقدمة على الحدود.

٢– أما إذا كان هدف إسرائيل هو القيام بهجوم عام على مصر فإن الطريق الذى يجب أن تسلكه قواتها هو الطريق الجنوبى حتى تستطيع هذه القوات القيام بحركة التفاف حول الطريق الأوسط المؤدى إلى أبو عجيلة، وعلى هذا التقدير رؤى

منذ أغسطس ١٩٥٦ أن تبقى القوات المصرية الضاربة بعيدة إلى الوراء حتى تكون فى الموقف الذى يسمح لها بإختيار الوضع الملائم لها واختيار مكان المعركة.

وعلى ذلك فقد تم وضع الخطة من جانب مصر لمواجهة هذا الهجوم الإسرائيلى وكانت تقضى بالدفاع عن الحدود بقصد شل العدو واعاقته عن التقدم ثم القيام بحركة فى الداخل تتجه إلى مراكز حشد تتحرك منها القوات المصرية الضاربة لتواجه العدو فى معركة فاصلة في المكان والزمان الملائمين.

٣٠ أكتوبر.. بدأت الاشتباكات

فى صباح يوم ٣٠ أكتوبر ٥٦ بدأت الإشتباكات بين قواتنا وقوات إسرائيل ونشط طيران العدو فى محاولة ضرب القوات المصرية فى الحسنة والقسيمة ورفح والعريش، كما حاول ضرب قواتنا فى نخل غير أن السلاح الجوى المصرى شن غارات مكثفة على مواقع العدو وأنزل بها خسائر فادحة فى الأرواح والعتاد وصدر بلاغ رسمى من القيادة المصرية جاء فيه (بدأ العدو يستخدم قواته الجوية للضغط على قواتنا البرية وقد تدخل سلاحنا الجوى فى الحال فأسقطت طائرتين نفاثتين للعدو كما دمر ١٢ عربة مصفحة)

وقد استطاعت مقاتلات سلاح الطيران المصرى أن تعوق

تقدم العدو واستمرت قواتنا طوال يوم ٣٠ أكتوبر فى معركة تطهير منطقة نخل وصدر البلاغ التالى عقب تطهير منطقة نخل (تمكنت قواتنا بعد ظهر اليوم من تطهير قوة العدو غربى نخل وقضت عليها تماما واشتبكت أربع طائرات من قواتنا الجوية بثمانية طائرات إسرائيلية من طراز ميستير وقد تمكنت طائراتنا من إسقاط طائرة كما اسقطت طائرة أخرى فى قطاع غزة وجارى تطهير باقى قوات العدو فى أرض العمليات).

وهكذا فشل العدو فى استئناف تقدمه من نخل إلى ضفة القناة فعاد يركز هجومه على منطقة الحدود تجاه العوجه فى منطقة الحسنة والقسيمة واستعمل فى ذلك اليوم دباباته ومدفعيته التي عاونتها بعض طائراته المغيرة، وكان لمصر فى المنطقة كتيبة استطلاع تستعمل عربات الجيب وكان عملها الأساسى تأخير تقدم العدو والإنسحاب أمامه لتنضم إلى قواتنا الأصلية فى أبو عجيلة وقد استطاعت هذه الكتيبة أن تشغل العدو وأن تضيع عليه نهار يوم ٣٠ أكتوبر بطوله فلم يتأهب للهجوم على أبو عجيلة إلا عند الليل. وقد اعترفت إسرائيل فى تقاريرها الرسمية بخسائرها الفادحة فى ذلك اليوم من الدبابات والعربات والطائرات.

صد العدوان وتجميدة

وقد أصدرت القيادة المصرية الأوامر الآتية لمواجهة تطورات الموقف.

١- تتحرك مجموعة مشاه ومعها مجموعة مدرعة إلى الجفجافه والغرض من ذلك هو حماية الجنب لأى تقدم إلى نقطة سدر الحيطان والتصدى لمواجهة أى احتمال لمحاولة جديدة لاسقاط قوات إضافية لاستئناف الوصول إلى القناة.

٢- إرسال قوة إلى ممر متلا لتطهيره من بقايا قوة المظلات ومنع أية محاولة للعدو من البقاء فيه.

٣- إرسال مجموعة لواء مشاه ومعها مجموعة مدرعة إلي الحمة، لمنع أى تقدم لقوات العدو من نخل والحسنة على الطريق الأوسط.

وهكذا تجمدت قوات العدو تجميدا كاملاً فى مواقعها يوم وليلة ٣٠ أكتوبر، وباءت كل محاولات التقدم غرباً أو شمالا بالفشل الذريع، واضطرت القوات الإسرائيلية إلى سحب كثير من قواتها من الحدود الأردنية والسورية، وتوجيهها إلى الحدود المصرية، كما استعانت ببعض العناصر المقاتلة الفرنسية والسنغالية للعمل مع قواتها البرية، علاوة على استخدامها الطيارين الفرنسيين فى أسراب الطائرات الفرنسية ميستير

التى صبغت بألوان الطيران الإسرائيلى كما بدأت بعض القطع البحرية الفرنسية في حراسة شواطئ إسرائيل وخاصة أمام حيفا كما نشطت البحرية البريطانية فى القيام بأعمال الدوريات في شرقى البحر المتوسط وأمام الشاطئ المصرى بصفة خاصة. وتحركت ٢٤ دبابة بريطانية من العقبة إلى اتجاه الحدود المصرية لتكون جاهزة للعمل مع القوات الإسرائيلية التى تجمعت فى إيلات لبدء عملياتها فى قطاع نصرانى وشرم الشيخ.

- وفى نفس اليوم ٣٠ أكتوبر أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بإعلان التعبئة العامة فى جميع أنحاء الجمهورية، ودعوة جميع القوات الاحتياطية إلى الخدمة العسكرية، كما قطعت مصر علاقاتها السياسية مع كل من بريطانيا وفرنسا، وطلبت عقد مجلس الأمن فورا للنظر فى أمر هذا العدوان.

كما بدأت القوة الضاربة المصرية عبور القناة شرقا ليلة ٣٠ أكتوبر فى اتجاه ميدان المعركة، وبعد أن كسبت مصر الموقف وملكت زمام الأمور فى البر والبحر والجو، صارت هى المتحكمة فى اتجاهات وتطورات المعركة وصدر البلاغ الآتى:

(إن القوات المصرية قد سيطرت على الموقف الذى نشأ عن العدوان الإسرائيلى المفاجئ فى خلال الـ ٢٤ساعة الأخيرة،

وأن قناة السويس غير مهددة على الإطلاق بأى تهديد عسكرى، وليس هناك ما يهدد سلامة السفن المارة بالقناة أو حرية الملاحة فيها، والقوات المسلحة المصرية قادرة فى كل الظروف على حماية القناة).

مسرحية الإنذار البريطانى الفرنسى

مع بداية العدوان الإسرائيلى على سيناء أعلنت بريطانيا أنها لن تستغل هذه الفرصة للتدخل، ولكن فى اليوم التالى ظهرت كل ملامح المؤامرة، ففى الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ٥٦ وجهت بريطانيا وفرنسا إلى مصر وإسرائيل إنذاراً بوقف جميع العمليات فى البر والبحر والجو، وسحب جميع القوات العسكرية إلى مسافة عشرة أميال من قناة السويس، وأن تقبل مصر احتلال القوات البريطانية الفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس، وطلبت الدولتان إجابة الإنذار فى ظرف ١٢ ساعة، تنتهى فى السادسة والنصف من صباح الأربعاء ٣١ أكتوبر، فإذا لم يتسلما الجواب فى الوقت المحدد، فلهما أن يتدخلا بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان إجابة مطالبهما.

عبد الناصر يرفض الإنذار

وفى الساعة العاشرة مساء يوم ٣٠ أكتوبر استدعى الرئيس عبد الناصر سفير بريطانيا بالقاهرة ثم القائم بالأعمال الفرنسى، وأبلغ كلا منهما أن مصر ترفض هذا الإنذار وتعتبره إعتداء على حقوقها وكرامتها وأمتهاناً صارخاً لميثاق الأمم المتحدة، وأنه فى الوقت الذى تدافع فيه مصر عن نفسها داخل أراضيها ضد العدوان الإسرائيلى، تنحاز بريطانيا وفرنسا إلى المعتدى ضد المعتدى عليه، وأنذر الرئيس الدولتين بأن مصر لا يسعها إزاء أى عدوان عليها إلا أن تدافع عن حقها وكرامتها. وفى خطابه إلى الشعب يوم ٩ نوفمبر قال عبد الناصر تعليقا على هذا الإنذار: (هذا الإنذار لا يمكن لأى فرد يشعر بكرامته ولا يمكن لأى وطنى يشعر بشخصيته أن يقبله.. وأنا باسم هذا الشعب رفضت هذا الإنذار وقلت لا يمكن أن نقبل راضين الاحتلال.. رفضت بإسم هذا الشعب الذى كافح على مر السنين وسيكافح أيضاً ليثبت الأهداف والحرية التى حققناها).

٣١ أكتوبر.. وانكشف وجه المؤامرة القبيح

انتهي الميعاد المحدد للإنذار وأعلنت وزارتا الحرب فى لندن وباريس بدء العمليات الحربية ضد مصر. وهكذا بدأ رسميا

العدوان الإنجلو فرنسى على مصر، واتخذت الدولتان من قبرص قاعدة عسكرية للعدوان ومن نيقوسيا عاصمة الجزيرة مقراً للقيادة المشتركة للحملة، وتولى الجنرال تشارلس كينتلى القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط قيادة الحملة بالاشتراك مع الأميرال الفرنسى بيير بارجو.

وبدأت طائرات الكانبرا البريطانية والميستير الفرنسية تغير علي المطارت والأهداف المصرية، ويشرح إيدن فى مذكراته الهدف من هذه الغارات الجوية المكثفة فيقول: (كانت المرحلة الأولى من الخطة تبدأ بالقضاء على سلاح الطيران المصرى وإبعاده عن جو المعركة على أن يتم تدميره على الأرض إن أمكن وذلك بطائرات من قاذفات القنابل تقوم لتحقيق هذا الغرض من قبرص ومالطه وعدن، ثم بطائرات مقاتلة تقوم من حاملات الطائرات ومن قاعدة قبرص، وكنا نأمل أن نتمكن فى أثناء تنفيذ هذه المرحلة من اسكات راديو القاهرة وتعطيله ومن إغراق أكبر عدد من السفن المصرية عن طريق ضربها بالقنابل قبل تمكينها من الاتجاه إلى قناة السويس واتخاذ مواقع بها لمنع الملاحة هناك. وكانت المرحلة الثانية تقضى بأن يركز سلاحنا نشاطه على الأهداف والمنشآت العسكرية المصرية بقصد تدمير إمكانيات مصر ليستعصى عليها تكوين أى دفاع

منظم. وكان من المقرر أصلا أن هاتين المرحلتين قد تستغرقان ما بين عشرة وأربعة عشر يوما. وقد حدث في أثناء بحث خطتنا العسكرية أن خفضنا المدة إلى ستة أيام لضرب الأهداف المصرية بالقنابل من الجو. وتقرر أن تكون المرحلة الثالثة هي مرحلة إنزال جنود المظلات فوق بورسعيد، بعد نقلهم بالطائرات من قبرص على أن تلحق بهم بعد ٢٤ ساعة القوات التي تنقلها السفن من مالطه).

ويتضح من كلام إيدن أن الهجوم الإسرائيلي كان يهدف إلى استدراج القوات المصرية إلى سيناء ثم قطع الطريق عليها باحتلال القوات الأنجلوفرنسية لمنطقة القناة، وبهذا يحققوا هدفين.. الأول تحطيم القوات المصرية الضاربة والتي بدأت تتجمع في منطقة روض سالم للقيام بهجومها المضاد الرئيسي كما كان مفروضا. والثاني دخول مصر واحتلالها بدون مقاومة منظمة.

قرار الانسحاب الاستراتيجي

بعد أن تكشفت المؤامرة التي استهدفت حصر الجيش المصري في سيناء، ثم احتلال مصر كلها اجتمع الرئيس عبد الناصر مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر في مركز القيادة العامة للقوات المسلحة مع كبار مساعديه، قواد الجيش، وبعد دراسة

عميقة للموقف استغرقت وقتا طويلا، استقر الرأى على قرار حاسم هو الانسحاب السريع من سيناء إلى منطقة القناة للدفاع عنها وعن مصر. وكلف الرئيس اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بتنفيذ هذه الخطة على أن يتم هذا الانسحاب الاستراتيجى على ليلتين ليلة ٣١ أكتوبر، ١ نوفمبر بحيث يتم فى الليلة الأولى انسحاب قوات رفح مستخدمة الطريق الشمالى، كما يتم انسحاب نصف القوات المتجمعة فى منطقة الحشد عند بير روض سالم.

أما فى الليلة الثانية فيتم انسحاب القوات الرئيسية فى العريش والقوات الرئيسية فى أبو عجيلة على أن تترك كل منهما جماعات خلفية لتعطل العدو حتى يوم ٢ نوفمبر.

وقد تم تنفيذ خطة الإنسحاب الاستراتيجى فى دقة وإحكام ونجحت أيضاً الخطة التعطيلية واستطاعت ستر انسحاب قوات رفح والعريش التى تسللت تدريجياً إلى طريق العريش تاركة وراءها ستارة فقط للتعطيل فى المواقع التى لم يفطن العدو إلى حقيقة قوتها وظل يعتقد أن القوات الرئيسية مازالت بمواقعها مما دعاه إلى الاستعانة بقوات فرنسا وإنجلترا التى ظلت طوال يوم ٢ نوفمبر تغير بشدة على المواقع لتدميرها ولكن الانسحاب تم بعد غروب ذلك اليوم.

١ نوفمبر.. عبد الناصر يعلن سنقاتل

كشفت الطائرات الأنجلوفرنسية غارتها على القاهرة والإسكندرية ومدن القناة وأصابت مبنى الكلية الحربية ومسجد الماظة ومستشفاها ومطار القاهرة الدولي والمطارات العسكرية المختلفة. وقد تحدث الرئيس عبد الناصر عبر الإذاعة إلى الشعب فأوضح الموقف بصراحة واستعرض المؤامرة الثلاثية ثم قال (والآن أيها المواطنون ونحن نواجه هذا الموقف هل نقاتل أم نسلم؟ إن تاريخ الشعوب فى الكفاح هو الذى يكتب لها المستقبل إن الأيام العصيبة تحتاج إلى مزيد من الصبر والثقة والإيمان والثبات حتى يتحقق النصر، لقد أعلنت مصر دائما أنها ستقاتل دفاعاً عن سيادتها وعن حريتها وعن كرامتها، سنقاتل فى سبيل حرية مصر وفى سبيل الشعب المصرى. لقد صدرت الأوامر بتوزيع السلاح وعندنا منه الكثير سنقاتل فى معركة مريرة من قرية إلى قرية سنقاتل ولن نسلم.. إننا نكتب صفحة جديدة من تاريخ مصر وأعاهدكم أننى سأقاتل معكم من أجل حريتكم لآخر قطرة من دمى).

وفى نفس اليوم صدرت الأوامر لسفينة التدريب الحربية (دمياط) بالتوجه إلى شرم الشيخ فتصدت لها بعض قطع الأسطول البريطانى وطلبت منها الاستسلام بعد محاصرتها

فرفضت وفتحت القطع البحرية البريطانية نيران مدافعها عليها وأخذت (دمياط) تقاوم برئاسة قائدها الصاغ محمد شاكر حسن إلى أن غرقت فى مياه خليج العقبة بعد أن أبى قائدها التسليم.. وفى ظهر هذا اليوم غادر محطة سكة حديد بورسعيد آخر قطار، وكذلك أوقف المرور عن طريق الشاطئ المتجه لدمياط وأصبح المنفذ الوحيد لمدينة بورسعيد عبر بحيرة المنزلة وكثفت إنجلترا وفرنسا غاراتها الجوية وقامت بضرب السفينة عكا أثناء عبورها القناة وأدى غرقها إلى إيقاف الملاحة فى القناة وأعلنت مصر فى هذا اليوم الحراسة على أموال الرعايا البريطانيين والفرنسيين والاستراليين، وقد بلغت تلك المؤسسات نحو ١٥٠٠ مؤسسة تشمل كافة نواحى الحياة الاقتصادية ومرافق الخدمات فى مصر. وفى هذا اليوم تم تعيين المحافظ محمد رياض حاكما عسكريا على مدينة بورسعيد. وبانتهاء هذا اليوم كان الجيش المصرى قد نفذ الانسحاب الاستراتيجى من سيناء وكان الطيران الأنجلوفرنسى يلاحق القوات المنسحبة لتعطيلها أو للقضاء عليها فحطم كوبرى الفردان لمنعها من العبور إلى الضفة الغربية وهنا يظهر دور سلاح المهندسين المصرى الذى نجح فى جعل تلك القوات تعبر القناة بسلام. وعن نجاح عملية الانسحاب الاستراتيجى يقول

عبد الناصر (لقد شعرت على الفور ساعة أخطرت أن عملية الانسحاب قد تمت كلها أن مصر كسبت المعركة حين أحبطت خطة العدو)

الجمعة ٢ نوفمبر.. عبد النا صر على منبر الأزهر

أصدرت الأمم المتحدة قرارها بوقف اطلاق النار فوافقت عليه مصر، ولم توافق عليه فرنسا وإنجلترا (إلا يوم ٦ نوفمبر) وقامت السلطات المصرية بتوزيع الأسلحة على أبناء بورسعيد وأفراد المقاومة الشعبية استعداداً لكافة احتمالات الهجوم على المدينة وكثفت الطائرات البريطانية غاراتها على المدن المصرية فضربت محطة الإرسال الإذاعى فى أبى زعبل وتعطل الإرسال الإذاعي لبعض الوقت، ثم عاد مرة أخرى.. وقد صلى الرئيس عبد الناصر الجمعة فى الجامع الأزهر وبعد الصلاة صعد على منبر الجامع الأزهر وخطب فى الناس وأعلن صيحته التاريخية سنقاتل سنقاتل هذه الصيحة التى أصبحت شعاراً لكل الشعب المصرى طوال أيام المعركة.

٣ نوفمبر.. إغلاق قناة السويس

استفادت القيادة المصرية من الخطأ الذى وقع فيه عرابى عام ١٨٨٢ عندما رفض إغلاق القناة فى وجه الإنجليز، فكانت طريقهم لاحتلال مصر. فأصدرت القيادة أوامرها باغراق خمس

سفن عند مدخل القناة لإغلاقها منعا لتكرار احتلال مصر عن طريقها، وأذاعت القيادة البريطانية بلاغاً قالت فيه: إن مصر قد أغرقت خمس سفن لتعطيل الملاحة فى القناة، وبذلك استطاعت القيادة المصرية تفويت الفرصة على القوات المعتدية فى استغلال القناة كما فوتت الفرصة عليها فى تدمير الطائرات فى الوقت الذى كانت الطائرات المصرية موجودة فى أحد المطارات السرية. وقد حاولت بعض القطع البحرية الأنجلوفرنسية إنزال بعض قوات الكوماندوز فى السويس ولكن زوارق الطوربيد المصرية تصدت لها وأغرقت ثلاث قطع بحرية منها، مما أدى إلى انسحاب باقى القطع إلى قاعدتها فى عدن.

٤ نوفمبر.. يوم الشهيدين جول جمال وجلال الدسوقى

اقترب الطراد الفرنسى (چان دارك) من المياه الإقليمية المصرية في البحر المتوسط عند بحيرة البرلس في الساعة الثامنة والنصف صباحاً وتقدمت زوارق الطوربيد من البحرية المصرية واشتبكت مع الطراد الفرنسى فى عملية انتحارية، وذلك بقيادة الصاغ البحرى جلال دسوقى والملازم بحرى جول جمال الذي أطلق على الطراد طوربيداً أصابه إصابة مباشرة واشتعلت فيها النيران وتم اغراقها إلا أن الطائرات الفرنسية التى تحرس الطراد تصدت لزورق الطوربيد المصرى وأغرقته

واستشهد البطلان.

٥ نوفمبر.. المرحلة الثالثة للعدوان

كان احتلال بورسعيد يمثل المرحلة الثالثة من عملية العدوان كما شرح إيدن فى مذكراته، فقد أراد المعتدون أن يتخذوا من بورسعيد رأس جسر فى هجومهم على مصر، وكان لابد للأسطول الإنجليزى والفرنسى لكى ينزل جنوده فى المدينة أن يطمئن إلى أنه قد شل جميع وسائل الدفاع عنها. ولهذا فقد بدأت العملية بإرسال أفواج ضخمة من الطائرات لضرب المواقع العسكرية فى المدينة، كالمدفعية الساحلية ومحطات الرادار وأخذت الغارات المتلاحقة طوال خمسة أيام ليل نهار، فضلا عن إقامة سياج حول المدينة لمنع وصول الإمدادات إليها. وكانت هذه الطائرات لا تميز بين الهدف العسكرى والمدنى، فلم تترك مستشفى ولا جامع ولا حتى سيارات الإسعاف إلا وأصابتها حتى دار المحافظ أصيبت أيضاً. وفى منتصف الساعة السادسة مساء هذا اليوم، شب حريق فى حى المناخ فى مخازن للأخشاب وأطلقت القوات البحرية المعتدية نيرانها العنيفة على الشاطئ، فأشتعلت النيران فى الكبائن الخشبية، كما ضربت الطائرات فناطيس ومخازن البترول فى الرسوة، فأصبحت المدينة كتلة ملتهبة من النيران. وهنا تجلت

قدرة الله حيث أمطرت السماء كما لم تمطر من قبل فأنطفأت الحرائق التى أشعلها المعتدون فى بيوت الآمنين.

القوات المصرية وقوات الأعداء فى بورسعيد

كان بيان القوات المصرية فى بورسعيد عند بدء المعركة كما يلى..

١- سريتان من المشاة وكانتا فى بورفؤاد.

٢- الكتيبة ٢٩١ مشاة وكانت موزعة كالآتى:

أ - سرية فى مطار الجميل

ب - سرية على الشاطئ

جـ - سرية بمباني شركة القناة

د. سرية احتياطية

٣- الكتيبة الرابعة المشاة، وكانت مورزعة علي النحو التالى..

أ- سريتان فى منطقة الجبانات

ب - سريتان فى منطقة الرسوة

جـ - سرية احتياط في الرسوة.

وقد وصلت هذه القوات إلى بورسعيد فور عودتها من سيناء.

٤- بطارية مدافع صاروخية فى منطقة المناخ.

٥- كتيبة من الحرس الوطنى منها سرية فى مطار الجميل.

٦- فرق المقاومة الشعبية.

أما قوات العدو التى اشتركت فى الهجوم على بورسعيد فقد كانت مكونة من :

١- كتيبة مظلات إنجليزية من قاعدة قبرص

٢- كتيبة مظلات فرنسية من قاعدة قبرص.

٣- كتيبة الفدائيين رقم ٤٥ من مالطه

٤- أورطة دبابات سنتوريان.

٥- فرقة من المشاة ومعها المدفعية اللازمة ووحدات المهندسين ووحدات النقل والخدمات الإدارية اللازمة.

وقد بلغت جملة هذه القوات المعتدية أكثر من أربعين ألفا يعاونها أسطولا فرنسا وإنجلترا وكل ما لديهما من قوات جوية في منطقة شرق البحر المتوسط فضلا عن أسلحة حلف الأطلنطى.

عملية الإبرار الجوى لقوات العدو

طوال الغارات الجوية الأنجلوفرنسية لم تسكت المدفعية المصرية المضادة للطائرات فقد صمدت خمسة أيام متوالية توجه قذائفها إلي الطائرات المعتدية فى شجاعة ودقة وإحكام حتي أن طاقم المدفع كان يتغير علي البطارية الواحدة أربع مرات فى اليوم الواحد لدرجة أن المدافع كانت تنصهر من شدة

الحرارة، وقد تحول كل شعب بورسعيد إلي جنود مدججين بالسلاح يتربصون بكل الشجاعة للمعتدين. وفى الصباح الباكر من يوم ٥ نوفمبر اتجهت أسراب كثيرة من طائرات العدو إلى منطقة الجميل غربي بورسعيد بعشرة كيلو مترات وبدأت عملية الإبرار الجوى على ثلاث مراحل.

١- تم اسقاط الموجة الأولى من الهابطين بالمظلات بمنطقة مطار الجميل، وكانت تقدر بحوالى ٢٥٠ من الجنود الإنجليز الذين أطلقوا عليهم الشياطين الحمر، وما إن هبطوا حتى تصدت لهم نيران الجيش والبوليس والشعب فأبادتهم عن آخرهم.

٢- هبطت المجموعة الثانية من المظليين فى الساعة الحادية عشرة صباحاً فى منطقة الجبانات ثم فى الثانية والنصف المجموعة الثالثة، وقد استمر القتال مع هاتين المجموعتين حتى الليل.

٣- لجأ العدو إلى الخداع لتقليل خسائره فى عملية الإبرار الجوى فتم اسقاط مجموعة كبيرة من الدمى والهياكل الخشبية فى منطقة كوبرى الرسوة وفي نفس اللحظة تم إسقاط مجموعة من جنود المظلات تقدر بحوالى ٥٠٠ جندى تمكنوا من احتلال الرسوة ومحطة المياه وتم إسقاط مجموعة رابعة فى بورفؤاد

تقدر بحوالى أربعمائة ثم مجموعة خامسة فى مطار الجميل.

وأمام هذا الهجوم الضارى تيقن الأهالى أن الأيام القادمة من المعركة شديدة الصعوبة فقاموا بتهجير النساء والشيوخ والأطفال إلى دمياط والمطرية عبر بحيرة المنزلة بواسطة اللنشات والمراكب الشراعية فاكتظت محطة اللنش التى كانت موجودة بشارع الأمين بكثير منهم وأغارت أسراب الطائرات على تلك المنطقة فغرق كثير من النساء والشيوخ بعد أن ضربت المراكب الشراعية وقد هاجر من المدينة ما يزيد على ١٩٢ ألفا من النساء والأطفال والشيوخ.

وفى نفس الوم أعلن إيدن فى مجلس العموم البريطانى أن بورسعيد قد سلمت مجافيا للحقيقة، وذلك بقصد وضع هيئة الأمم المتحدة التى كانت منعقدة فى ذلك الوقت أمام الأمر الواقع، وفى النهاية يعترف إيدن فى مذكراته بكذب هذا الإدعاء حين يقول (بعد أن أعلنت استسلام بورسعيد فى مجلس العموم الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٥ نوفمبر جاءتنى إشارة فى الساعة السابعة مساءً تقول إن القتال مستمر).

– بدأت قوات العدو فى الاقتراب من شواطئ بورسعيد محملة على البوارج وحاملات الطائرات والجنود والمدمرات وحاملات الدبابات واستمرت القوات البحرية تطلق قذائفها على

المدنيين فى فترات متقطعة حتى صباح يوم ٦ نوفمبر.

٦ نوفمبر.. يوم الشهداء

فى الصباح الباكر من ذلك اليوم استؤنفت العمليات الجوية على بورسعيد، وتعرضت المدينة لأعنف الغارات منذ بدأ العدوان. وبدأ الأسطول يدخل الميناء ليفرغ الدبابات والمدافع الثقيلة والسيارات وغيرها ورست السفن المعادية على رصيف ديليسبس ونزلت كتيبة من الفدائيين الإنجليز مع أورطة دبابات وتمكنت قوات المظلات الإنجليزية من السيطرة على مطار الجميل، وبدأت تتقدم على الساحل حتى التقت مع الدبابات وأمام بسالة المقاومة المصرية وضراوتها لجأت القوات المعتدية إلى خدعة لا إنسانية حيث رفعت الأعلام المصرية والروسية على الدبابات، فقابلها جموع الشعب بالفرح والترحاب ولكن المفاجأة الغادرة كانت تنتظرهم، إذ اكتسحت مدافع هذه الدبابات جموع المدنيين بل وسارت عليهم بالجنازير، فسقط العديد من الشهداء وساد الذعر بين النساء والأطفال، والتحمت قوات المقاومة الشعبية مع قوات العدو فى معركة رهيبة وأخذ البورسعيديون يلقون بأنفسهم على الدبابات يضربونها بمدافع البازوكا، واستمرت هذه الملحمة ثمانى ساعات سالت فيها الدماء وسقط الجرحى والشهداء، وقد استطاعت هذه الدبابات فى النهاية أن

تحتل بعض الشوارع فظهرت القوات المترجلة وهى تتقدم فى ببطء تحت حماية الدبابات والطائرات، لتهاجم بعض المنازل للقضاء على من فيها من أبطال المقاومة، وفى نفس الوقت أسقطت القوات الفرنسية دفعات أخرى من المظليين على بورفؤاد، وبدأ جنود العدو يعيثون فساداً فى بورسعيد يحطمون وينهبون.

الإنذار الروسى.. وبطولات مصرية خالدة

فى هذا اليوم وجهت روسيا إنذارها إلى كل من إنجلترا وفرنسا، وهددت بأنها ستضربهما بالصواريخ الموجهة إن لم يوقفا عدوانهما على مصر.

ورغم هذا التفوق من قوات الأعداء، إلا أن هذا اليوم قد شهد العديد من البطولات الخالدة، فعندما كانت الدبابات البريطانية تتقدم فى شارع محمد على عند تقاطع شارع الحميدى، إندفع البطل السيد عبد الله إبراهيم إلى الدبابة التى تتقدم القول، وكانت مفتوحة من أعلى ويطل منها أحد الضباط البريطانيين، وتقدم البطل وألقى قنبلة ملز ٣٦ بعد أن سحب فتيل الأمان إلى داخل الدبابة، ولم يكتف بذلك بل ألقى قنبلة أخرى على جنزير الدبابة وأنفجرت الدبابة وقتل من فيها، ولكن الدبابة التى تليها أطلقت على البطل السيد عبد الله رصاصة من مدفعها فسقط

شــهــيــداً، ولم تكتف بذلك بل ســارت على جــثــتــه بجنزيرها، فـأستـعمل زملاؤه السكين فى نزع الجثة من الأرض ثم دفنوها فى الجبانة..

وفى هذا اليوم حـدثت وقـائع البطل مـحـمـد مـهـران والتي سنفـرد لهـا مكاناً خـاصــاً من هذا الكتـاب.. وغـيـر ذلك من البطولات الكثير والكثير.

بنايوتى البطل المصرى اليونانى

من ضمن مجموعات الفدائيين التى كان يشرف عليها البطل مـصطفى الصـياد، كانت هناك مجموعة من الوينانيين الذين يعيشون فى بورسعيد ومنهم تجار وبقالون وموظفون فى شركات ملاحية، وكان بنايوتى مـانرومـاتين واحداً من هؤلاء، وهو البطل الذى كان سيفجر المستودعات البريطانية للذخيرة فى عام ٥٤ ولكن تـأجلت العـمليـة، وفى يوم ٦ نوفـمـبـر أثنـاء تقـدم القـوات المعـتـدية لاحـتـلال بورسـعـيد اسـقطوا العـديد من القناصـة على أسطح البيوت لاصطيـاد رجال المقاومة، وقد فوجئ مجموعة من الفدائيين أمـام رصـيف فرقة المطافئ أنهم مـحـاصـرون من كل جـانب بالقناصـة الإنـجليـزية من فـوق منزل فـقـوسة ومـنـزل محـمـد عباس، فـحمل بنايوتى مدفـعه وصـعد إلى المنزل الموجود خلف جـامع الرحـمـة، وراح يطلق النيـران فى عنف وإصـرار على

القناصة الموجودين فوق منزل فقوسه وهو يصرخ طالباً من الفدائيين زملائه الانسحاب، وقد حاصره الإنجليز بالنيران من كل جانب حتى سقط شهيداً.

اجتماع الأبطال

يروى مصطفى الصياد قائد مجموعات المقاومة جزءً مما حدث يوم ٦ نوفمبر، فيقول: بعد أن تأكدنا من دخول الإنجليز بورسعيد عقدت اجتماعاً موسعاً لقيادات المجموعات العشر، وأقسمنا على المصحف أن نفدى الوطن بأرواحنا، وأن نكون عند حسن ظن رئيسنا جمال عبد الناصر، وأن ننفذ كلامه وأن نستمر في القتال وقرأنا الفاتحة على الشهداء، وقد أخبرنى إلياملاكسوسى أحد أبطال المجموعة اليونانية، أن الإنجليز قد جاءوا معهم ببعض البحارة من قبرص، وهم أعضاء فى منظمة (يوكا)، وأنه قد اتصل ببعضهم ليمدونا بالمعلومات بصفة منتظمة.. ثم عقدنا اجتماعاً مع الحاج مصطفى حسن الصياد، وهو من كبار تجار شارع النهضة واتفقنا معه على تكوين لجنة منه ومن شقيقه محمد الصياد ومصطفى الشماع وأحمد سليمان الجناينى وإنجلو أناناسولسى بصفتهم تجارا، ليعملوا على منع كل التجار من التعامل مع الأعداء، وكان لهذه اللجنة تأثير كبير فيما بعد حتى أن الإنجليز قد أمروا محمد الصياد

بأن يفتح محله فى شارع النهضة فرفض فأحرقوه أمامه.

الإسعاف بالقنابل

قام السيد عبد الرحيم قومندان الاسعاف بإحضار سيارة إسعاف، وركب فيها بعض أبطال المقاومة ومعهم ثمان من مدافع رشاشة من نوع كارل جوستاف و١٦ قنبلة يدوية من نوع ملز ٣٦ وانطلقت السيارة إلى شارع السلطان حسين رغم أن الإنجليز كانوا يطلقون النار على سيارات الإسعاف، وعندما وصلوا إلى شارع السلطان حسين كان الموقف فى الشارع كالآتى.

- الدبابات السنتوريون الضخمة تتدفق على الشارع من فتحة سور الجمرك، وتنطلق إلى شوارع بورسعيد والجنود ينزلون من الناقلات عند تقاطع شارعى السلطان حسين ومحمد محمود، وتوقفت سيارة الإسعاف ونزل منها الأبطال يحملون نقالة مغطاة وعليها المدافع والقنابل، ودخلوا بيتا على ناصية الشارعين وله باب من كل ناصية دخلوا من باب شارع محمد محمود، وخلعوا رداء الإسعاف وحملوا مدافعهم وأسلحتهم وخرجوا فجأة من الباب المطل على شارع السلطان حسين، وفى لحظات انطلق الرصاص والقنابل على طوابير الجنود الإنجليز الذين ارتبكوا وبدأوا يضربون النار على بعضهم

البعض، وهنا انسحب الرجال إلى المبنى ووضعوا المدافع فوق النقالة وعليها الغطاء وخرجوا من الباب الآخر إلى سيارة الإسعاف التى سارت بهم إلى داخل المدينة، حيث أنزلت الأسلحة فى أحد المخازن بشارع عباده

٧ نوفمبر.. وقف اطلاق النار رسميا

فى الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء ٧ نوفمبر أوقف المعتدون اطلاق النار رسميا، ولكنهم استمروا فى اشعال الحرائق فى المبانى التى كانوا يعتقدون أنها تضم أوكارا لأفراد المقاومة، وكانوا يمثلون بجثث القتلى من المدنيين بقصد إضعاف معنويات الناس، وامتلأت الطرقات بجثث الرجال والنساء والأطفال، بل والحيوانات كالقطط والكلاب والطيور، فقد انجلت هذه المعركة غير المتكافئة عن حوالى ألفين من الشهداء المصريين مدنيين وعسكريين. وقد بذل الأطباء مجهودات ضخمة لحفظ حياة الناس، وقاموا فى ظروف قاسية بتطعيم الأهالى ضد الأوبئة رغم معارضة الإنجليز لهذا العمل الإنسانى.

وحشية وغدر

احتلت فرقة فرنسية بقيادة نقيب فرنسى يدعى فورمينيه منطقة الرسوة واضطرت فرق المقاومة من الحرس الوطنى

بقيادة الملازم السيد عاشور للإلتجاء إلى المخابئ بعد أن ركزت عليها الطائرات مدافع الفيكرز واستغلت وجودهم بالمخابئ فأنزلت بالمظلات جنوداً عند رأس العش وحاصروا المخابئ وألقوا عليهم القنابل الدخانية فخرج الفدائيون فقابلوهم بالمدافع الرشاشة وكانوا حوالى ٨٠ بطلاً ومن لم يقتل بهذه الطريقة أجلسوهم على الأرض وأطلقوا عليهم النيران فى الرأس من الخلف، وقد تمكن الملازم السيد عاشور ومعه خمسة فدائيين من النجاة والوصول إلى المدينة.

وقام الإنجليز بإيقاف هجرة الأطفال والنساء عن طريق بحيرة المنزلة، وصاروا يغرقون المراكب والزوارق بمن فيها من أطفال ونساء، فامتلأت البحيرة بجثث الغرقى، وتعطلت المخابز وأغلقت المياه وتم قطع المياه عن المدينة وطفحت المجارى وتعطلت الحياة، وأصبح ١٥٠ ألف نسمة يعيشون تحت أقسى أنواع الحياة وأمرها.

الرعب من الراديو والإذاعة

تصدت القوات الإنجليزية لرجال البوليس وجمعت منهم السلاح. كما قامت بجمع أجهزة الراديو من المنازل والمحلات حتى لا يسمع الأهالى نشرات الأخبار، بل قامت بتشغيل جهاز بحديقة فيلاطيره بطرح البحر للشوشرة على الإذاعة المصرية

أثناء إذاعة نشرات الأخبار. وقد خلت المدينة من الطعام اللهم إلا من البطاطس والأرز المخزون فى الجمرك، حيث تم توزيعها على الأهالى. وفى هذا اليوم قامت قيادة المقاومة بطبع أول منشور بعنوان سنقاتل فى مطبعة محمد شاكر مخلوف، وقد تخصص فى كتابة هذه المنشورات كل من عبد اللطيف بدر - أحمد قورة - الساعي العصفورى - الدسوقى مختار، وذلك من خلال مجموعتين أطلق عليهما (الهتاشاما)، وامتد طبع المنشورات إلى مطبعة السيد المغربى، وكانت هناك منشورات باللغة الإنجليزية والفرنسية توزع داخل معسكرات الأعداء بمعرفة الفدائيين أو أفراد منظمة (أيوكا) القبرصيين.

صياد والسمك والذخيرة

بدأ أبطال المقاومة يتساءلون عن كيفية الحصول على الذخيرة والسلاح فى ظل ذلك الحصار الرهيب، واتجهت الأنظار إلى صيادى السمك المنتشرين فى بحيرة المنزلة. لكن أيهم يتحمل هذا العبء وتلك الأمانة الوطنية التى تحتاج إلى دقة وحذق ومهارة وجميع الصيادين كان الحماس يملأهم وانتهى الرأى علي اختيار الريس محمد زكى عبد المنعم وأشقاؤه للقيام بتلك المهمة، وقد لعبوا دوراً كبيراً فى الأيام التى تلت ذلك فى مد الفدائيين وقوات المقاومة بالأسلحة والذخائر التى يخفونها

أسفل الأسماك التى يصيدونها من بحيرة المنزلة.

٨ نوفمبر.. وتنظيم المقاومة الشعبية

نظمت قوات المقاومة الشعبية صفوفها بطبع المنشورات وتوزيعها، وكانت تحث على مقاومة العدو والجهاد فى سبيل الوطن وقد نجح المحافظ محمد رياض فى بث روح المقاومة السلبية بين أبناء الشعب البورسعيدى، فأغلقت المحال أبوابها فى وجه الأعداء ورفضت التعامل مع تلك القوات كما نجح فى بث تلك الروح بين العمال الذين رفضوا العمل والتعاون مع الأعداء، على الرغم من المحاولات الكثيرة ووسائل الترغيب وكان يعاون المحافظ فى ذلك العمل ضباط المباحث وعلى رأسهم محمود عبد الحى صلاح ومنير الألفى، ولم ينس المهندس محمد توفيق الديب مدير البلدية يوم أن حضر له الميجور وليامز والكولونيل جرين من المخابرات الإنجليزية والميجور كلاين والميجور بولدرنج من سلاح المهندسين ثم أحاطوا به محاولين إرهابه بإتهامه بتحريض العمال على عدم التعاون معهم. وقد واصلت القوات المعتدية الشوشرة على الإذاعة المصرية كما بثت إرسال إذاعة موجهة من جزيرة قبرص تذيع الأكاذيب والسموم ضد مصر وكفاح شعب بورسعيد تحت اسم (صوت مصر الحرة)، ولم تؤثر هذه السموم فى الناس، وواصل

المعتدون جمع أجهزة الراديو حتى جمعوا أكثر من ٥٠٠٠ جهاز من الأهالى، فأضيفت مهمة جديدة لرجال المقاومة، هى نقل أخبار مصر لداخل بورسعيد كما قام الفدائيون بإلقاء الرعب فى قلوب المعتدين فقاموا بخطف أسلحتهم فصدرت لهم الأوامر بالسير فى جماعات وعدم السير فرادى كما صدرت لهم الأوامر بربط أسلحتهم بأجسامهم، ولم يمنع ذلك من نشاط الفدائيين بل أصبحت الدوريات صيدا ثمينا لهم. وفي هذا اليوم استمر العدو في ضرب المنازل التي يشك فى اختفاء الفدائيين فيها وقاموا بالاعتداء على رجال الشرطة المصريين وقاموا بتجريدهم من أسلحتهم، وبدأوا في القبض على المواطنين واستجوابهم لمعرفة أماكن الفدائيين. وفي هذا اليوم اجتمع كل من اللواء عبد الفتاح أبو الفضل والرائد سمير غانم والمحامى كمال الصياد للبحث عن طريق لإخفاء جهز اللاسلكى الوحيد الذى يتم من خلاله الاتصال بالقاهرة، وقد نجح رجال المقاومة فى نقل الجهاز إلى منزل أسرة الشاعر وأقام فى الدور الأول من المنزل خمسة من أبطال المقاومة بأسلحتهم وليس لهم عمل إلا الدفاع عن الجهاز حتى إنتهاء العدوان.

موقعة الدراجات

صدرت الأوامر إلى أبطال المقاومة بضرب دورية أو دوريتين كل يوم من دوريات الإنجليز والفرنسيين، وعلى الفور حضر كل من رشاد الطرابيلى ومحمد رجب ومحمد أحمد حسن ومحمد شاكر موسى وسادات خليل وكامل محمد فتيح ووزع على كل منهم دراجة وفى جيب كل منهم قنبلتين ملز وسارت الدراجات فى المدينة بسرعة خطيرة وكانت الدراجة تقترب من الدورية البريطانية بعد أن يسحب كل بطل تيلة الأمان منها ويتركها فى يده قليلاً ثم يلقيها عليهم وينحرف على الشارع الجانبى فتنفجر ولا يصيبهم شىء لسرعة مرورهم بالدراجات، وبعد ساعة واحدة توجه الرائد سمير غانم إلى النقيب مصطفى الصياد، وكان معه الرائد نبيل الوقاد وضابط الاتصال، وقال له إن الأمر ضرب دورية أو دوريتين وليس عشرون دورية كما فعل أصحاب الدراجات فقال له (زيادة الخير خيرين)، وفى نفس اليوم صدر أمر الجنرال ستوكويل قائد القوات الإنجليزية بمنع ركوب الدراجات ومن يشاهد بدراجة يقبض عليه وتصادر الدراجة، وللسخرية من الأعداء قام صبحى الكومى والسيد بكرى محمد بوضع دراجة قديمة جداً فى وسط المدينة وثبتوها على الأرض فأصبحت واقفة، ووضعوا فوقها دمية على صدرها نيشان وفوق

رأسها خوذة ممثلة للجنرال ستوكويل، وكأنه يركب الدراجة وهو منحنى فوقها وهى تسرع به، وفوق ظهر الدمية مكتوب جنرال ستوكويل، وحولها طوب وحديد وخشب، وعلى الفور حضر رجال القوات البريطانية ومعهم المهندسون والخبراء لرفع هده الألغام ثم أتضح أنه لا يوجد فيها شيء فكان ذلك مثار الضحك فى المدينة.

وفى المساء اجتمع الأبطال السيد البوجى ويحيى النجار وعلى حمزة وكامل فتيح والسيد الكومى والسيد بكر وأحمد شوقى الحسينى ومحمد العسال فى منزل عبد المنعم مختار وفتح صبحى الكومى بصفته القائد للعملية الظرف، الذى به أوامر العملية وكانت ضرب دورية تمر بشارع محمد على لأنها كانت تفتش المنازل وتسرق أصحابها، وخرج الفدائيون وعادوا فى الساعة الواحدة صباحا بعد أن قضوا على الدورية البريطانية.

٩ نوفمبر.. قصة منشورات المقاومة الشعبية

يروى النقيب المحامى كمال الصياد قائد مجموعات المقاومة الشعبية بعضا من قصة منشورات المقاومة الشعبية فيقول حضر إلى فى صباح يوم ٩ نوفمبر الرائد سمير غانم، وأخذ تقريراً كاملاً عن عملية يوم ٨ نوفمبر وأرسل باللاسلكى فوراً

إلى المسئولين خارج بورسعيد، وطلب منى بيانا بطبع منشورات لتوزيعها في المدينة، فحضر مصطفى كمال الفرباوى وعبد الرحمن رشيدى وانتقلوا به ومع البطل حسنى عوض إلى مطبعة مخلوف لصاحبها محمد شاكر مخلوف، وهو من الوطنيين الذين نعرفهم من سنوات طويلة، وفعلا صدرت من عنده ثلاثة منشورات ويؤكد محمد شاكر بأنه قد تقابل مع ضابطين من المخابرات بمنزل الحاج محمود خضير (والد الضابط سامى خضير) وتلقى منهما التعليمات، ثم ذهب ليلا إلى المطبعة وطبع المنشور ثم سلمة إلى الجهاز المكلف بالتوزيع وهم كمال الغرباوى وعبد الرحمن رشدى وعبده الصياد. وتمت كتابة بعض المنشورات باللغة الإنجليزية، وتم توزيعها داخل المعسكرات البريطانية، وإضافة إلى ذلك كانت هناك مجموعة من مختلف فئات الشعب تقوم برسم رسومات كاريكاتورية على حوائط المنازل منها حاوى له وجه إيدن يداعب كلبا له وجه بن جوريون، ومعزة لها وجه جى موليه ورسم آخر لحمار له وجه إيدن ويركبه شخص لها وجه الرئيس عبد الناصر، وخلاف هذه الرسومات التى كانت تغيظ المعتدين بل أن الشعب صار يكتب على ظهر الكلاب والحمير فى المدينة بالبوية وبألوان مختلفة رسم إيدن وموليه، مما أثار شعور المعتدين وصاروا

يقتلون الحيوانات البريئة بالرصاص أمام الأهالى..

١٠ نوفمبر.. الحياة تعود مرة أخرى

تمكن المحافظ محمدرياض من فتح بعض المخابز لإطعام الناس وبدأ الأهالى يتجولون فى الشوارع وخرجت الأسر حائرة تبحث عن أفرادها الغائبين، وفتحت المقاهى أبوابها وبدأت تمتلئ بالأهالى لأن جميع الأعمال فى المدينة كانت متوقفة، وظهر جنود وضباط البوليس فى الشوارع وأقسام البوليس، وكان الهدف من ذلك هو عدم الاعتراف بسيطرة القوات المعتدية على قطاع الأمن فى المدينة. وفى الساعة العاشرة صباحاً ألقت الطائرات الإنجليزية منشورات بلغة ركيكة تحوى الكثير من الأكاذيب مما أثار السخرية من أسلوبها ومضمونها وكذبها الواضح فى كل شيء وقد جمع الفدائيون هذه المنشورات وكانت مصدرا للترفيه عن المواطنين بأسلوبها الركيك ومنطقها التافه.

وفى نفس اليوم أذاعت وكالات الأنباء العالمية أن (أنتونى إيدن) رئيس الوزراء البريطانى قد أصيب بأزمة نفسية إثر فشل الحملة الإنجلوفرنسية على بورسعيد حيث انتقل إلى جزيرة (جاميكا) على البحر الكاريبى للاستشفاء طالباً الهدوء، تاركاً مهام وزارته إلى (بتلر) حامل أختام الملكة، وظل إيدن بهذه

الجزيرة إلى أن قدم استقالة وزارته فى التاسع من يناير عام ١٩٥٧.

١١ نوفمبر.. الجنازة الصامتة لأرواح الشهداء

قام قواد المقاومة الشعبية بالمرور على رؤساء المجموعات للإستعداد والتأهب لعمليات جديدة، وفى نفس الوقت قام الرائد سمير غانم بالتفتيش على الأسلحة والزخائر التى كانت فى مخزن سرى بقرية الحرية. وتقابل مصطفى الصياد مصادفة مع جندى مالطى كان يعمل جاسوسا للفدائيين فى معسكرات الإنجليز قبل الثورة، وقد أبدى رغبته فى التعاون مع الفدائيين مرة أخرى، وبالفعل كان يكتب بخط يده صورا من جميع الأوامر الصادرة من القيادة البريطانية ويسلمها إلى رئاسة المقاومة الشعبية.

وفى نفس اليوم حضر إلى قسم الشرطة ضابط ملازم بريطانى أهوج والتقى بالنقيب محمد عبد الغنى كرارة وطلب منه الانتقال معه فورا لإنزال دمية علقها الأهالى بشارع سعد زغلول بالحجم الطبيعى للإنسان ولها وجه إيدن، ووجه الضابط الإنجليزى الأوامر إلى محمد عبد الغنى الذى قال له إننى ضابط مصرى لا آخذ الأوامر منك، وعلى الفور قال الإنجليزى سوف ترى عاقبة عدم تعاونكم معنا، وقام الضابط الإنجليزى بجمع

جنوده وأنزلوا دمية إيدن ليفاجأ بعد ساعات قلية بدمى أخرى مماثلة لإيدن ومولية وستوكويل.

وفى نفس اليوم نظم الأهالى جنازة صامتة بعد صلاة العصر من الجامع التوفيقى اشترك فيها جموع الشعب البورسعيدى بكافة طوائفه وذلك سخطاً على تصرفات المعتدى، وقد طافت تلك الجنازة شوارع المدينة، وقد ضرب العدو حصارا شديداً حول المدينة حتى يمنع تسلل الفدائيين إليها

١٢ نوفمبر.. العدو يستجدى العمال

خرجت سيارات العدو وعليها مكبرات الصوت تنادى بالعمل معهم. ورغم شدة حاجة العمال للنقود إلا أنهم أجمعوا على رفض التعامل مع الإنجليز مهما كانت الإغراءات.

١٣ نوفمبر.. وتدفق الفدائيون على بورسعيد

تدفق الفدائيون على مدينة بورسعيد عبر بحيرة المنزلة، وقد عم الفرح أهالى المدينة لسماعهم نبأ تدفق الفدائيين، وكانوا تحت قيادة اللواء عبد الفتاح أبو الفضل والصاغ سمير غانم والصاغ يحيى القاضى (مخابرات حربية)، وكانت عبارة عن خمس مجموعات تلاحمت مع المجموعات العشر للمقاومة الشعبية فى بورسعيد، وقد سأل الرائد سمير غانم مصطفى الصياد عما تحتاجه المجموعات من أسلحة وذخيرة فطلب مدافع وقنابل فتم وضع كمية منها فى دولاب فضيات، ثم ركب

الرائد سمير إحدى الدراجات وخلفه إبراهيم عبده بطل العالم في حمل الأثقال وأحد أبطال المقاومة، وتم نقل الدولاب إلى قسم البوليس ثم أخرجوه من باب آخر وتم نقله بالسيارة إلى عزبة الحرية بجوار قهوة بخيت حيث المخزن الأساسى للسلاح والذخيرة، وقد تمسك صاحب المقهى بعد ذلك بإهدائه الدولاب الذى لعب دوراً فى نقل الأسلحة والذخائر وقد تم له ما أراد.

١٤ نوفمبر.. ذكرى الجهاد..

في ذكرى الجهاد يوم ١٤ نوفمبر عرف الإنجليز بوصول فدائيين إلى بورسعيد، فأكثروا من الدوريات المارة بالمدينة كما شددوا الحراسة على منافذ المدينة، وعادوا إلى تفتيش الشوارع والمنازل والمحلات، وحضر إلى قسم العرب حامد عبد المنعم وشقيقة زكي، وهما ضمن ستة أشقاء كانوا ينقلون السلاح والذخيرة للفدائيين من المطرية إلى بورسعيد، وكانوا يخدعون الإنجليز بطرق بسيطة، فكانوا يغطون الأسلحة والذخيرة بأكياس السمك والجمبرى ويقدمون لجنود العدو الذين يقومون بتفتيشهم زجاجات الخمر وأكياس السمك، وطلبت القيادة معلومات عن المعتدين فى مطار الجميل، فتسلل إلى هناك يحيى الشاعر وتمكن من إعداد تقرير كامل عن قوات العدو فى المنطقة، وقد ارتدى كمال الصياد ملابس رجال الاسعاف وذهب إلى بورفؤاد لإعداد تقرير مماثل عن هذه المنطقة ومنطقة

الرسوة، وقد ذهب فى سيارة مطافئ بحجة تلقيهم بلاغات عن وجود حرائق بالمنطقة.

١٥ نوفمبر.. وجنون المعتدين

أصاب الإنجليز جنون البحث عن الأسلحة ، حيث قاموا فى هذا اليوم باعتقال بعض ضباط البوليس بحجة أنهم من الفدائيين ويعرفون مكان الأسلحة، كما قام وليامز بناء على شكوى وصلت إليه بإحضار كرسى وجلس أمام قسم العرب الذى اعتقد أن العمليات تدار من داخله، وفى الساعة الواحدة ظهراً كان مصطفى الصياد بملابسه المدنية يجلس فى مبنى السوارى الملحق بالقسم عندما حضرت سيارتان مملؤتان بالجنود الإنجليز، ودخلوا القسم وقاموا بالقبض على الملازم لطيف مرقص موجهين له اتهامهم بأنه زعيم المقاومة، وقد ذاق الضابط البطل ألواناً رهيبة من العذاب الذى تفنن فيه الإنجليز ليحصلوا منه على اعترافات عن الفدائيين والأسلحة، فكانوا يلبسونه ملابس خاصة ويطلقون عليه النار، ثم يضعونه تحت دش بارد فى أقصى الأيام برودة، ويحضرون مقصلة ويهددونه بالقتل ويعدونه بالإفراج عنه إذا ما اعترف على الفدائيين.. ولم يعترف الضابط البطل بشىء.

١٨ نوفمبر.. منشورات مضادة

نشطت الطائرات المعتدية فى إلقاء منشورات فوق بورسعيد

منها ما يدعو الناس للعمل مع وعود بإعادة الحياة الطبيعية للمدينة، وأنهم بصدد تطهير القناة، وكانت مراكبهم تتجمع حول الكراكة الغارقة أمام باب (٦) محاولة إخراجها من القناة، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل.

١٩ نوفمبر.. اجتماع قيادات المقاومة.

اجتمع رؤساء مجموعات المقاومة مع مصطفى الصياد، لإبداء رغبتهم فى ضرورة معاودة عملياتهم ضد المعتدين، وكانت تعليمات القيادة بوقف هذه العمليات استجابة لإتفاقية وقف إطلاق النار، واستمرت اجتماعات الفدائيين لبحث مواقف الاستفزاز التى كان يقوم بها المعتدون، خاصة بعد الموقف الوطنى الرائع الذى وقفه الأهالى برفض كل أنواع التعاون مع الأعداء رغم المغريات، وبدأت الدولة فى حصر جميع العاملين من الأهالى وصرف إعانات مالية عاجلة لهم أسوة بما اتبع مع ضحايا الحرائق من أهالى المدينة. وفى نفس اليوم جابت سيارات العدو وعليها مكبرات الصوت تطلب من أصحاب اللنشات والغلايات والصيادين التوجه للميناء لأن القيادة البريطانية ستصرح لهم بالعمل. ولم يذهب أحد.. فعاد الإنجليز للمساومة على الماء، وأنهم سيحضرون الماء من قبرص، وعلى الفور وزعت المقاومة منشورات على الأهالى رداً على القصص الخيالية التى كان يذيعها المعتدون.

٢٠ نوفمبر.. الترغيب والترهيب

استمرت عروض الإنجليز المغرية مع لهجة التهديد، ولكن فشل كل ما وضعوه من خطط، وفى السادسة من مساء هذا اليوم اجتمع الرائد سمير غانم فى منزل الحاج محمود خضير بقواد المجموعات، ليبلغهم التصريح للتشكيلات بالضرب فى القوات المعتدية على ألا تتجاوز كل عملية القضاء على دورية بريطانية واحدة، وأنه قد تقرر العودة إلى الضرب بصورة واسعة شاملة يوم ٢٧ نوفمبر.

٢١ نوفمبر.. و صرف الإعانات وو صول البوليس الدولى

فتحت أقسام البوليس أبوابها وعادت لعملها فى صرف الإعانات المالية العاجلة، وفى هذا اليوم بدأت طلائع البوليس الدولى تصل إلى مشارف بورسعيد فأستقبلتها مظاهرة ضخمة تهتف بحياة الرئيس عبد الناصر وفتح الإنجليز النار على المظاهرة فاستشهد الطفلان حسن سليمان حمودة ورمضان السيد.

٢٢ نوفمبر.. التفتيش عن الأسلحة

توجه الإنجليز إلى عزبة الحرية فى الصباح، وأخذوا يفتشون عن الأسلحة والذخيرة، ولكنهم فشلوا فى العثور على شىء ووزعت المقاومة منشورات بالإنجليزية والفرنسية، وكانت موقعة

من الهتاشاما ودعت المنشورات إلى القيام بجنازة صامتة على روح الطفلين الذين استشهدوا بالأمس لكن الإنجليز أصدروا أمراً بحظر التجمع لأكثر من ١٦ شخصاً،.، فتقرر عدم القيام بمظاهرة.

٢٣ نوفمبر.. تجربة احتلال الشوارع

فى التاسعة صباحاً فوجئ أهل المدينة بجنود ودبابات ومدافع الإنجليز تحتل جميع الشوارع، ومرت سيارة بمكبرات الصوت تذيع باللغة الإنجليزية بأن هذه تجربة، وعلى الأهالى عدم الانتظار فى الشوارع، وبعد نصف ساعة انصرفت قوات الأعداء ولكن استعراض القوة أثار الناس ورفع الحماس، ومع ذلك كانت الأوامر ألا يبدأ الضرب إلا يوم ٢٧ نوفمبر فأخذت المنشورات الدور الأكبر.

٢٧ نوفمبر.. القضاء على دورية إنجليزية

استطاع أبطال المقاومة القضاء على دورية إنجليزية بعد أن كمنوا لها فى شارع ١٠٠، مما دفع الإنجليز إلى تكثيف عمليات البحث عن الأسلحة والذخيرة وخاصة فى هذا الشارع.

٢٨ نوفمبر.. شهيد البوليس

أنزل الفرنسيون فى بورفؤاد قوات كبيرة بدباباتهم وسياراتهم المصفحة كما واصل الجنود الإنجليز الطواف فى

بورسعيد وألقت طائراتهم منشورات تؤكد بأنها قد عثرت على أسلحة فى البحيرة.. وفى الساعة الثانية عشرة ظهراً قام الضابط المصرى صبحى قامش بتنظيم الأهالى فى طابور أمام مبنى البوليس بشارع صفية زغلول لكى يحصلو على (الغاز) وتصادف مرور ضابط إنجليزى مع دورية فثار لأن كونستابل مصرى ينظم وقوف الناس ليحصلوا على (الكيروسنين) من سيارة تبيعه لهم، وفجأة وبلا أى إنذار أطلق هذا الضابط الإنجليزى الرصاص على الضابط المصرى صبحى قامش فسقط شهيداً، لأنه كان يحافظ على النظام والأمن بعد أن أشاع الإنجليز الفوضى والسلب فى المدينة.

٢٩ نوفمبر.. أعداء ولصوص أيضا

نشطت قوات العدو فى سلب المنازل ونهبها بحجة التفتيش عن الأسلحة والذخائر، وامتدت عمليات السطو إلى منطقة الجمارك ومخازن التموين، وذلك لتجويع الناس حتى يستسلموا أو يتوقفوا عن المقاومة. وأمام إصرار المدينة على عدم التعاون مع الأعداء. بذل الإنجليز محاولات مغرية لاقناع الناس بالتعاون معهم ولكن دون فائدة.. وفى نفس اليوم انسحب الإنجليز من المساكن الشعبية التي كانوا يحتلونهاخوفا من الفدائيين لأن هذه المساكن فى الخلاء وخلفها بحيرة المنزلة، وسارت العربات

الإنجليزية وعليها مكبرات الصوت تذيع على الناس الأنباء من إذاعة صوت بريطانيا مع بعض الموسيقى العربية، وخاصة أغاني أسمهان.. وقد واصل الإنجليز التشويش على الإذاعة المصرية وخاصة وقت إذاعة النشرات الخارجية، وذلك عن طريق الجهاز الذى يصدر صوتا كأزيز الطائرات فتحايل رجالِ (الهتاشاما) على الموقف عن طريق كتابة ملخصات لهذه النشرات وطبعها فى منشورات ثم توزيعها على الناس

١ ديسمبر.. و صول سيدات الهلال الأحمر

وصلت إلى بورسعيد سيدات الهلال الأحمر من القاهرة بقطار نقل الجرحى، وذلك لزيارة المصابين بمستشفيات المدينة، وجئن بتبرعات قدرت بآلاف الجنيهات وبدأت المؤن ترد إلى بورسعيد عن طريق البحيره فى المراكب الشراعية على هيئةتبرعات من أهالى المناطق المجاورة، كما وصلت القوات الهندية وانضمت إلى قوات الطوارئ الدولية اليوغسلافية.

٢ ديسمبر.. استشهاد البطل جواد علي حسني

عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر تقدم كثير من طلبة الجامعات للتطوع فى كتائب الحرس الوطنى وكان ضمن هؤلاء البطل جواد على حسنى الطالب بكلية الحقوق، والتى اتجهت كتيبته لمحاربة القوات الإسرائيلية فى سيناء، وبعد صدور قرار

الإنسحاب عادت الكتيبة إلى بورفؤاد لمحاربة الفرنسيين، وخلال معاركهم مع تلك القوات أصيب فى كتفه وطوق الفرنسيون الكتيبة فطلب من زملائه الإنسحاب، وأخذ يقاتل دورية فرنسية بأكملها حتى ظنوا أن الذى يقاتلهم فرقة مصرية، فقد كان مدفعه من الطراز الحديث ٦٠٠ طلقة فى الدقيقة، وتم تعزيز الدورية بقوات أخرى إلى أن سقط البطل غارقا فى دمائه، فقبض عليه الفرنسيون، ورغم دماءه التى تنزف بغزارة فقد استعملوا معه أقصى أنواع التعذيب حتى يعترف بمواقع زملائه، ولم يعترف، فتم سجنه فى غرفة مظلمة دون غطاء وبلا ماء أو طعام، ودماؤه تسيل من جسده فاستعملها كمداد، وكتب على جدران الغرفة فصول ملحمته إلى أن استشهد فى الثانى من ديسمبر.

٤ ديسمبر.. قبول الانسحاب من بورسعيد

أعلن (داج همرشولد)سكرتير عام الأمم المتحدة قبول إنجلترا وفرنسا الانسحاب من بورسعيد دون قيد أو شرط، ووصول قوات طوارئ دولية من عدة جنسيات لتضطلع بمهمة المراقبة فى المنطقة الحرام بين القوات المصرية والبريطانية.

٥ ديسمبر.. تعذيب التجار

قبض الإنجليز على خمسة من كبار تجار المدينة، بعد أن

رفضوا فتح محالهم وعذبوهم، وقد هدد ستوكويل بأن ذلك سيكون مصير كل من يرفض التعامل مع قواته.. وطبقاً لقرار الأمم المتحدة فقد بلغ إجمالى القوات المعتدية المنسحبة ١١ ألف جندى، وكانت أولى القوات المنسحبة كتيبة (ويست كينت) البريطانية.

٦ ديسمبر.. نسف سيارتين جيب

رغم أن القوات البريطانية قد كثفت دورياتها فى كل شارع وكل حارة، إلا أن ذلك لم يمنع أبطال المقاومة من الخروج من مكامنهم ومهاجمة دوريات الإنجليز، وفى هذا اليوم تمكن رجال المقاومة من نسف سيارتين چيب بريطانيتين، كما تم نسف سيارة مصفحة، وتم أيضاً إلقاء القنابل على معسكر الإنجليز بالمدرسة اليونانية فى شارع سعد زغلول

٧ ديسمبر.. مظاهرة على أرواح الشهداء

نظم الأهالى بعد صلاة الجمعة مظاهرة صامتة خرجت من جامع الرحمة، وانضم إليها جموع المصلين بالجامع العباسى والتوفيقى، وانتهت عند الجبانة، وقد ضمت المظاهرة أكثر من ثلاثة آلاف متظاهر من أبناء بورسعيد رجالا ونساءً من كافة الأعمار، وحملوا الأعلام منكسة حزنا على شهداء المعارك.

٨ ديسمبر.. وتوفرت النقود فى المدينة

لاحظ الناس أن النقود قد توافرت فجأة في المدينة، ثم علموا أن المحافظ قد تمكن من الحصول على كل النقدية ببنك مصر، وقام بتوزيعها للإنفاق منها على المدينة.. وقد لجأ الإنجليز إلى توزيع منشوراتهم الهزلية على صناديق البريد فى المنازل، ومع ذلك لم تؤثر فى أحد.

٩ ديسمبر.. ترحيل رعايا المعتدين

تم رحيل الرعايا البريطانيين والفرنسيين، حيث قاموا بتحزيم منقولاتهم ووضعوها أسفل منازلهم، وقامت بنقلها عربات النقل البريطانية إلى ظهر السفن الحربية. فقد خاف هؤلاء الرعايا من البقاء فى بورسعيد بعد ثبوت اشتراك بعضهم فى اطلاق النار على كثير من الشهداء يومى ٥، ٦ نوفمبر، وفى هذا اليوم أصدرت قوات المقاومة الشعبية العدد الأول من مجلة الانتصار، وقبض الإنجليز على محمد مخلوف صاحب المطبعة التى تطبع المنشورات وحملوا المطبعة وسجنوا مخلوف، ولم يفرجوا عنه إلا يوم ١٦ ديسمبر.

١٠ ديسمبر.. القضاء على دورية إنجليزية

أعد أبطال المقاومة كمينا للدوريات الإنجليزية أمام سينما مصر بشارع سعد زغلول، وفى التاسعة والنصف مساء، مرت

سيارتان جيب وسيارة مدرعة من أمام الكمين، فألقى عليها رجال المقاومة أكثر من ٢٠ قنبلة ميلز ٣٦ وعاد الأبطال بعد ذلك إلى مخابئهم فى قرية الحرية.

١١ ديسمبر.. خطف الضابط مورهاوس

استطاعت مجموعة من رجال المقاومة خطف الضابط مورهاوس. وفي موضع آخر من هذا الكتاب كل التفاصيل عن هذه العملية الهامة.

١٢ ديسمبر.. استجداء الفدائيين

نقل بيرنز قائد القوات الدولية مقر قيادته إلى قلب بورسعيد بعد أن كان فى جنوب المدينة، وقد أرسلت القيادة البريطانية له للتوسط لدى الفدائيين لمعاملة مورهاوس معاملة الضابط الأسير. وبدأت تتدفق منشورات أفراد المقاومة على المعسكرات البريطانية بتوقيع (الهاتاشاما).

١٤ ديسمبر.. سيد عسران يقتل وليامز

استطاع البطل سيد عسران قتل ضابط المخابرات الإنجليزى الشرس، وفى مكان آخر من هذا الكتاب نقدم كل التفاصيل عن هذه العملية البطولية العملاقة.. وفى نفس اليوم تم اجتماع بين مختلف قيادات أجهزة المقاومة - المخابرات - الصاعقة - المقاومة الشعبية حضره الرائد سمير غانم والرائد

جلال الهريدى والشهيد نبيل الوقاد وكمال الصياد، وفى هذا الاجتماع أخرج جلال الهريدى خريطة وعلم عليها بالدبابيس حول مركز تجمع الدبابات البريطانية وهى بطرح البحر، وقال بأنه قد وردت رسالة من القاهرة نصها (بلاش الخصوصى استعملوا الميرى) ومعنى ذلك أن تحل الأعمال العسكرية محل الأعمال الفردية، وتم وضع الخطة بالتعاون بين الجيش والبوليس والمقاومة الشعبية لضرب الدبابات الإنجليزية.

١٥ ديسمبر.. عيد الدبابات

طبقاً للخطة الموضوعة تم نقل السلاح فى سيارات الاسعاف، لأنها كانت مستثناه هى وسيارات المطافى من عملية حظر التجول، وكانت كلمة السر لهذه العملية (جمال)، واشترك فيها من ضباط الصاعقة كل من نبيل الوقاد - طاهر الاسمر- مدحت الرويني - حسين مختار. وكانت خطة العملية أن تخرج مجموعة الصاعقة من ضباط وجنود من قسم المناخ بعد أن يكونوا قد قيدوا فى دفاتر القسم كمساجين لتوصيلهم إلى المكان المحدد، وهو مكان تجمع الدبابات البريطانية. وبدأت العملية فى موعدها المحدد فى الواحدة صباحاً، وذلك من ناحيتين هجوم يقوم به أربعة صف ضباط على رأسهم الضابط حسن ملازم، ومهمتهم مهاجمة دوريات الإنجليز فى الشوارع،

أما الهجوم الثانى وهو الرئيسى ويقوم به ٢٣ صف ضابط بقيادة الملازم حسين مختار يهاجمون فيه معسكر الدبابات. وفى أحد المنحنيات أعدت المجموعة الأولى كمينا بأن ربطت شيكارة أسمنت فى حبل ثم علق بعرض الشارع ليبدو فى صورة حبل ألغام، وجاءت دورية بريطانية من عربتين مصفحتين فوقفت أمام الحبل ونزل أحدهم ليتبين الأمر فانطلقت القنابل والنيران على العربة الواقفة، ولم ينجو منها أحد إلا السائق الذى هرب فى الشوارع، وتم قتل ثمانية بريطانيين فى العملية، وكان المكان المعد للقاء بعد العملية أمام سينما مصر، حيث ظهرت دورية سيارة من عشرة جنود إنجليز فاندفع أحد رجال الصاعقة وهو الشهيد البطل الشاويش رمضان عبد الرازق بين جنود الإنجليز وألقى عليهم قنبلتين فقتل الجنود العشرة وسقط هو شهيداً، وقد تم ترقية هذا البطل إلى رتبة الضابط بعد ذلك.

وجاء دور عملية الصاعقة الكبيرة حيث تحرك رجال الصاعقة ومعهم الأدلة من قسم المناخ إلى معسكر دبابات الإنجليز، وتم توزيع القوات كما يلى:

– ٦ صف ضابط يحملون ثلاثة مدافع صاروخية (بلاندسيت) ضد الدبابات يقفون فى مواجهة هذه الدبابات تحت إشراف الضابط حسين مختار.

-١٢ صف ضابط يحيطون بكل الطرق المحيطة بهم للدفاع عنهم فى حالة الهجوم وتمت العملية حسب الخطة الموضوعة حيث انطلقت المدافع الثلاثة تهز المدينة لمدة دقيقة وربع فقط. وبعدها غادر رجال الصاعقة جميعا إلى سجن المناخ بعد أن فجروا أربع دبابات سنتوريوم وسيارتين كاميون، وقد حاولت إحدى الدوريات محاصرة المهاجمين إلا أن أبطال المقاومة الشعبية ألقوا عليها القنابل وأمطروها برصاص الرشاشات حتى قضوا عليها تماما.

وفى نفس الوقت ظهرت دورية بريطانية أخرى خلف الجامع التوفيقى بشارع صفية زغلول وهى تسرع إلى مكان الهجوم فقابلها من تحت البواكى المطلة على الجامع أبطال المقاومة، وألقوا عليها عليها القنابل ورصاص الرشاشات حتى قضوا عليها، وفى شارع عرفات مرت سيارتان محملتان بالجنود فخرج عليها أبطال المقاومة وألقوا ثمان قنابل يدوية فانسحبت إحدى السيارتين وتركت الأخرى وهى ملأى بالقتلى والجرحى.

وهكذا تحولت بورسعيد فى تلك الليلة إلى جحيم مشتعل، وتحولت الشوارع إلى مقابر لجنود الإنجليز، ولم ينم مواطن واحد فى المدينة، وقد أطلق على هذه الليلة (عيد القنابل)، وكفت الدوريات البريطانية عن المرور فى الشوارع واختبأ الجنود

الإنجليز خلف أسوار المعسكرات وهى فى حالة ذعر شديد.

١٦ ديسمبر.. عودة الأبطال

كان الإنجليز قد قبضوا على بعض رجال المقاومة وهم ينقلون زميلهم الجريح وحبسوهم فى الجمرك، وقد استغل هؤلاء الأبطال حالة الذعر التى سادت كل المعسكرات الإنجليزية فى الليلة الماضية فأنقضوا على حارس غرفتهم وحنقوه، ثم تسلقوا أسوار الجمرك وهربوا من المعتقل. وارتفعت المعنويات إلى أقصى درجة فى كل بورسعيد، وتم تفجير سيارة فرنسية، كما تم مهاجمة مدرسة الواصفية التى اتخذها الإنجليز معسكرا لهم، وتوالى ضرب الدوريات الإنجليزية والفرنسية فى كل شوارع المدينة، وارتفع زئير الناس فى الشوارع الله أكبر.. الله أكبر.

المذيع الآلى

كان الإنجليز كلما أرادوا إذاعة أى تعليمات دفعوا بدورية مسلحة تطوف بالشوارع ومعها سيارة بها مكبر صوت يذيع الأوامر باللغة العربية، وقرر أبطال المقاومة نسف هذه السيارة والقبض على هذا المذيع (العربى) الذى يلقى بالأوامر، وانطلق أبطال المقاومة بقيادة مصطفى الصياد وركبوا سيارة مطافئ وراحوا يتتبعون سيارة الإذاعة من بعيد، وكان خط سيرها

معروفاً كالمتبع يومياً.. وعند تقاطع شارعى الفورى والبوصيرى اختفى الأبطال فى محل يملكه المواطن على الشماعى وتركوا سيارة المطافئ أمام مقهى الاتحاد، وبعد دقائق وصلت سيارة الإذاعة، فأنقضوا عليها بالمدافع الرشاشة فلاذت سيارة الحراسة بالفرار، وتم قتل سائق سيارة الإذاعة، وبعد فتح الباب الخلفى للقبض على المذيع لم يكن هناك أى مذيع فبعد هذا الجهد وجدوا أن المذيع عبارة عن جهاز تسجيل يدور أمام ميكروفون مكبر الصوت فتم حرق السيارة.

عملية ناجحة ولكن

كانت الفرقة الفرنسية الموجودة بالقابوطى تعامل الأهالى معاملة سيئة وقاسية، فطلب الفدائيون من الرائد سمير غانم مهاجمة حراسها، فرفض، إلا أن بعض رجال المقاومة قد أصروا على تنفيذ العملية فركبوا إحدى سيارات البوليس حتى وصلوا على مقربة من دورية الحراسة الفرنسية المكونة من عشرة جنود فقضوا عليهم وعادوا إلى القسم مرة أخرى، إلا أن هده العملية رغم ما حققته من مكاسب فقد ترتب عليها العديد من الخسائر أهمها ضبط شحنة أسلحة مكونة من ٣٥ ألف طلقة رصاص فى قارب صيد كما ترتب عليها غلق طريق تهريب السلاح كما إزدادت الحراسة فى القابوطى، وأجبر سكانه من

المدنيين على تركه فصاروا ينامون فى المساجد والكنائس.

١٧ ديسمبر.. الإنجليز يسجنون أنفسهم

أدرك الإنجليز أن بقائهم فى بورسعيد أصبح مستحيلا، وعندما خرج الناس إلى الشوارع فى الصباح اكتشفوا أن البريطانيين قد تركوا المدينة بأسرها وانسحبوا إلى شريط صغير فى منطقة توازى الميناء، وقد فصلوا هذه المنطقة بحاجز طويل وقوى من الأسلاك الشائكة أمتد بعرض المدينة كلها بامتداد شارع الملكة فريدة، وصدر الأمر بإيقاف ضرب النار، وكانت ناقلات الجنود والعتاد الحربى تعمل بأقصى سرعة ممكنة لنقل رجالهم وعتادهم، واستعدت قوات البوليس الدولى لتسلم المدينة.

وارتفعت الأعلام المصرية فى الحى العربى، وغطت صور الزعيم جمال عبد الناصر الجدران، وانطلقت المظاهرات تجوب الشوارع، وزغردت النساء وجاب الرجال الشوارع طول الليل بعد أيام طويلة تحت رحمة حظر التجول وفتحت المقاهى أبوابها ليلاً لأول مرة منذ ٥ نوفمبر.

١٨ ديسمبر.. البوليس المصرى فى بورسعيد

وصلت أفواج من قوات البوليس المصرى وبلوكات النظام على متن قطار ترفرف عليه أعلام مصر، استعدادا لاستلام

المدينة بعد جلاء القوات المعتدية من حى العرب وجزء من حى الأفرنج، وقد تم ذلك خلال ساعات حظر التجول. وكان الإنجليز قد جعلوا فى جزء صغير يطل على شارع ٢٣ يوليو ممرا بين الأسلاك الشائكة لمن يريد أن ينتقل من الطرف الشرقى للمدينة إلى بقية أجزائها بعد أن يقوموا بختم معصمه بخاتم من عندهم، وعلى الفور صنع الفدائيون ختماً مماثلاً وختموا به على يد ثلاثين من الفدائيين الذين انتقلوا إلى القسم الشرقى، وقد رابطوا فوق أسطح العمارات على خط الأسلاك الشائكة تحسبا لأى اعتداء جديد.

٢٠ ديسمبر.. القوات الدولية تتسلم مبنى القناة

تسلمت قوات الأمم المتحدة مبنى هيئة قناة السويس، الذى اتخذته قيادة القوات البريطانية والفرنسية مقراً لها، حيث انسحب استوكويل قائد القوات المعتدية على ظهر باخرة حربية وتم إنزال العلم البريطانى من سارى مطار الجميل.

٢٢ ديسمبر.. القوات الدولية تتسلم بورفؤاد

تسلمت القوات الدولية مدينة بورفؤاد من القوات الفرنسية.. وأعلن الإنجليز حظر التجول فى الشريط الضيق الموجودين فيه لمدة ٢٤ ساعة حتى يتمكنوا من الانسحاب، وكانت فى انتظارهم إحدى القطع البحرية التى تفتح مؤخرتها لدخول

القوات المنسحبة بداخلها، وكان فى حماية تلك القوات ثلاث بوارج حربية أمام شاطئ البحر المتوسط وأيضاً ٣٠٠ جندى من جنود القناصة فوق أسطح المنازل المطلة على منطقة الانسحاب خوفا من بطش الفدائيين. وقد انتشرت القوات الدولية خلف الأسلاك الشائكة.

٢٣ ديسمبر.. عيد النصر

انسحب الإنجليز والفرنسيون من بورسعيد مهزومين وخرج الناس فى حماس بالغ لتحطيم الأسلاك الشائكة، لتصبح المدينة كلها ملكا لأصحابها، وانطلقت المدينة كلها فى مظاهرة رائعة تجوب الشوارع تتقدمها أمهات الشهداء، ودخلت قوات البوليس والجيش المصرى المدينة، وتلقى الشعب أبناءه من الجيش والبوليس بالأحضان والقبلات، وقد اعتبر هذا اليوم عيداً قومياً أطلق عليه (عيد النصر).

إعادة بناء بورسعيد

تسبب العدوان الثلاثى فى تدمير وهدم جزء كبير من بورسعيد، وبعد الجلاء مباشرة أصدر الرئيس عبد الناصر القرار رقم ٣٤٥ لعام ١٩٥٦ بإنشاء وزارة شئون بورسعيد وعهد بها إلى السيد عبد اللطيف البغدادى الذى اتخذ من المدينة مقرا له، وتكونت هيئة لتعمير بورسعيد من خلال مشروع ينفذ

فى ستة أشهر فقط فتم بناء أكثر ثلاثة آلاف مسكن ووضعت خطة لبناء ستة آلاف مسكن تنتهى فى ١٩٦٤، مع زيادة شبكات الكهرباء وتدعيم الرعاية الصحية والاجتماعية والثقافية.

٢٤ ديسمبر.. نسف ديليسبس رمز الاستعمار

تحول الغضب الشعبى فى بورسعيد إلى تمثال ديليسبس عند مدخل القناة، على اعتبار أنه أحد الرموز الاستعمارية، وكان الإنجليز قد ثبتوا فى يده اليمنى علم بريطانيا، وتصاعد الغضب الشعبى ليطالب بنسف التمثال، فعرض الرائد سمير غانم فكرة نسف التمثال على المسئولين بالقاهرة عن طريق جهاز اللاسلكى، وفى نفس الوقت كان خبر نسف التمثال قد انتشر بين أهالى بورسعيد فأسرعوا إلى موقع التمثال وبلغ بهم الحماس أن حملوا البلط والفؤوس، كما حاول بعضهم سحبه بالأحبال من جوانبه، ولكن أبطال المقاومة أبعدوا الناس من حول التمثال لمسافة ١٠٠ متر، وتسلق كل من عبد المنعم ويحيى الشاعر وحسنى عوض التمثال، وتم وضع عشرة قوالب من مادة (تى. إن. تى) فلم تؤثر فى التمثال فتم وضع ١٨ قالب فلم تؤثر، فتم وضع صندوق كامل ثم نسف التمثال فتهاوى رمز الاستعمار ديليسبس إلى مياه القناة، حيث كان فى انتظاره (ماعون كبير) عبارة عن باخرة توضع فيها المتروكات.

مقابر خاصة لشهداء بورسعيد

قرر السيد عبد اللطيف البغدادى وزير شئون بورسعيد نقل جثث شهداء بورسعيد، والتى دفنت فى الطرق العامة إلى مقابر خاصة، وقد احتفل بنقل جثث الشهداء إلى مقابرها الأخيرة فى احتفال رسمى.

الحق ما شهدت به الأعداء

يهمنا فى سياق تسجيل الأعمال البطولية لشعب بورسعيد، أن نسجل شهادة الإنجليز حول هذه الأعمال، لأن الحق هو ما شهدت به الأعداء فماذا قالوا.

يقول الجنرال كيتلى قائد الحملة فى تقريره بعد انتهاء المعارك: (إن السلطات المصرية وزعت الأسلحة على المدنيين فى بورسعيد فراحوا يستخدمونها بطريقة واسعة النطاق، وكانوا يلقون القنابل على السيارات العسكرية ويجتهدون لايقاع الدوريات فى كمائن أثناء الليل. وإن القتال الذى دار فى شوارع بورسعيد كان معقداً لأن الجنود المصريين نزعوا ملابسهم العسكرية واختلطوا مع المدنيين الذين كان كثير منهم مسلحين.

ويقول إيدن زعيم المتآمرين فى مذكراته: (فى خلال الأسابيع الأخيرة للاحتلال الإنجليزى الفرنسى بذل المصريون كل ما وسعهم لإثارة الحوادث وحاولوا عرضها على العالم، كما لو

كانت نتيجة لاستفزاز الحلفاء برغم اتفاقيات وقف اطلاق النار، وحاولوا إعداد الكمائن، وأطلقوا النار على الدوريات المتحالفة، وألقوا القنابل اليدوية على المركبات العسكرية. وقد هربت الأسلحة إلى بورسعيد، ووجهت حملة دعاية قوية إلى سكانها لتحريضهم على السلطات المخالفة، وكان هذا النشاط المصرى من نوع إغارات الفدائيين ضد إسرائيل وقد سبب ذلك كله اصابات كثيرة).

الفصل السابع

جان دارك.. تنتصر فى بورسعيد..!
بطولات المرأة البورسعيدية

رغم أن كلمة التاريخ (مذكرة) أى تنتمى إلى عالم الرجال.. إلا أن التاريخ يصنعة الرجل والمرأة معاً.. فمنذ آدم وحواء وحتى الآن.. استمر التاريخ صناعة مشتركة بين المرأة والرجل.. وفى ملحمة بورسعيد ضد العدوان الثلاثى كانت كل الخطوط الأمامية للرجال لأن المعركة كانت بالضرورة معركة الرجال للدفاع عن الوطن والمرأة جزء من الوطن أو هى رمز الوطن. ومع ذلك فقد استطاعت المرأة البورسعيدية أن تحجز لها مكانا بارزا ورائعاً وبطولياً فى الخطوط الأمامية لملحمة بورسعيد ضد العدوان الثلاثى.. وإذا كانت المرأة البورسعيدية فى تلك الملحمة تحمل بصمة خاصة جداً.. بصمة مصرية خالصة إلا أنها تشبه فى كثير من ملامحها أسطورة (چان دارك).. فمن بين الوقائع الفاصلة التى كتبها وحللها السير

(إدوارد شيرد كريزى) المؤرخ البريطانى الشهير ومؤلف كتاب (الوقائع الفاصلة فى التاريخ) موقعة (أورليان) التى انتصرت فيها (چان دارك) على قوات إنجلترا فى سنة ١٤٢٩.

ولم يكن انتصار (چان دارك) التى أحرقها الإنجليز حية فى سوق مدينة روان فى الثلاثين من مايو عام ١٤٣١ إنتصاراً حربياً تحشد له الجيوش وترسم الخطط، ولكنه كان انتصاراً لمبادئ الحرية والاستقلال، وقد وصف الفيلسوف الإنجليزى (هيوم) هذا النصر بكلمات بليغة قليلة قال فيها: (إن أنظار أوربا اتجهت نحو هذا المنظر الذى كان منطقيا بالنسبة للفرنسيين، فوقفوا وقفتهم الأخيرة للدفاع عن استقلالهم وحقهم فى الحياة).

ولقد كانت بورسعيد مثل أورليان حيث وقف أهل بورسعيد وقفتهم الأخيرة للدفاع عن استقلالهم وحقهم فى الحياة، وتحولت كل امرأة بورسعيدية إلى جان دارك التى قاومت وهزمت الإنجليز، ولم يستطيع الإنجليز أن يحرقوا جان دارك البورسعيدية، لأنها مع رجال بورسعيد قد طردتهم ووضعت أنوفهم فى التراب لتنتهى أسطورتهم وإمبراطوريتهم إلى الأبد، وسوف نحاول فيما يلى أن نلقى الضوء على بعض النماذج البطولية للمرأة البورسعيدية ضد العدوان الثلاثى. وإن كنا نؤكد على أن كل نساء بورسعيد كن مناضلات وبطلات لانهن فى

النهاية أمهات وأخوات وزوجات وبنات كل رجال بورسعيد، ويكفى أن المرأة البورسعيدية لم تصب بالذعر أو الهلع لأن ابنها يحمل فى يده بندقية، فكل النساء الأم والأخت والزوجة والبنت كن يشجعن الشباب والرجال على حمل السلاح ضد هذا الغاصب المعتدى

أم علي.. قائدة قوات الصاعقة..!

فى تسجيل إذاعى نادر تتحدث السيدة المناضلة أم على عن تجربتها النضالية فى معركة بورسعيد فقالت فى تواضع شديد:

بورسعيد بلدنا وأرضنا وأعز من عرضنا، اسمى الحقيقى فتحية أحمد الأخضر، ولكنى اشتهرت باسم ابنى الأكبر على، وفى فجر أحد الأيام بعد بداية العدوان الإنجليزى الفرنسى على بورسعيد سمعت طرقاً على باب عيادة الدكتور جلال، حيث كنت أعمل وعندما فتحت وجدت عددا كبيراً من الشباب من ٣٠ - ٤٠، ويقودهم شاب اسمه مدحت الروبى وعرفت أنهم من رجال الصاعقة فى الجيش المصرى، وأنهم قد اختاروا العيادة مقراً لهم، وبعد يومين أتوا بكمية من السمك فى (عربية صغيرة) ووضعوا تحت السمك أسلحة وقنابل وذخيرة وأرادوا أن يوزعوا هذه الأسلحة بأنفسهم على الفدائيين، فخفت عليهم وقررت أن أوزع هذه الأسلحة بنفسى، ووضعت فوق السمك بعض أرغفة

الخبز ثم سرت بين دوريات الإنجليز حتى مدرسة المبرة، وكنت أدعو الله طوال الطريق، وقد نجحت العملية، فكررتها بعد ذلك أكثر من مرة وذلك لمدة ثمانية أيام متوالية، وقد ظلت العيادة مركزاً لقيادة شباب الصاعقة حتى تم انسحاب الإنجليز.

ورحلت فى صمت..

لقد رحلت السيدة أم على عن دنيانا فى شهر نوفمبر ١٩٩٥ ويروى البطل سيد عسران قصة غريبة ومؤلمة عن وفاة الست أم على فيقول: كنت أسير فى أحد أيام شهر نوفمبر ٩٥ أمام الجامع العباسى فوجدت جنازة فسألت عن المتوفى فقيل لى إنها (الست أم على) فحضرت الجنازة، وتصادف فى مساء نفس اليوم أن كان قصر الثقافة يعرض مسرحية اسمها (بالحضن يا بورسعيد) تحكى عن أم على، فصعدت على المسرح، وقلت للناس إن أم على قد ماتت اليوم وأنى علمت بموتها مصادفة. وقلت لو أنى علمت بخبر الوفاة قبل الجنازة بساعة لأتيت بباقة ورد على حسابى الخاص وكتبت عليها (العلاقات العامة لمحافظة بورسعيد) فاستفز ذلك الجمهور الذى وقف حداداً على روحها فى صالة المسرح وقرأوا الفاتحة على روح هذه السيدة العظيمة التى قدمت الكثير، ومع ذلك لم يتذكرها أحد حتى فى يوم وفاتها.

أم حسين عثمان.. في المخابرات

البطل حسين عثمان أحد أبطال المجموعة التي خطفت الضابط الإنجليزي مورهاوس يتحدث عن دور والدته وتصرفاتها في حمايته والتستر عليه وإخفاء معالم العملية التي قام بها فيقول:

بعد أن خطفنا مورهاوس ووضعناه في الصندوق، وذهبنا إلى بيت أحمد هلال عدت إلي البيت حيث كنا نسكن بين شارعي الزقازيق والثلاثيني وطرقت الباب ففتحت والدتي يرحمها الله وفوجئت بأن ملابسي كلها دماء من اصابة مورهاوس وسألتني عن السر في ذلك فقلت لها لا شيء فهدأت من روعي وأجلستني وأمرتني بخلع ملابسي. وكان أمامنا (فرن) فأخذت ملابسي الملوثة بالدماد، وبكل البساطة وضعتها في الفرن المشتعل، ثم سألتني عن السر فأنكرت أي شيء فجاءت لي بالطعام فأكلت وبعد ساعة واحدة امتلأ الشارع بالجنود الإنجليز بعد أن وجدوا السيارة المستعملة في الحادث.. وعندما أخذونا إلى المستشفى جاءتني والدتي لتزورني وسألتني عن سر كل ما يحدث، وقالت بأنها متأكده من أننا قد فعلنا شيئا خطيرا. فرويت لها كل شيء فملأت الفرحة وجهها وقبلتني وأثنت عليّ وعلى زملائي كثيراً.. وهذا يدل على الروح التي كانت تملأ كل فئات الشعب في

بورسعيد أثناء المعركة»..

زينب الكفراوى.. وأطفال المدافع

كان الفدائيون فى حاجة لنقل أربعة مدافع جوستاف وعشر قنابل ملز ٣٦، وجميعها تأخذ حيزاً صغيراً، والمطلوب نقلها من عزبة النحاس إلى منزل عبد المنعم مختار بشارع رشيد، وعلى الفور عرضت المناضلة الشابة زينب الكفراوى أن تقوم بالعملية، وجاءت بعربة أطفال صغيرة، ووضعت فيها القنابل والمدافع ثم غطتها بمرتبة طفل ووضعت فوقها ابن أختها الطفل الرضيع وانطلقت فى شوارع المدينة وسارت خلفها سيارة البوليس وفيها النقيب مصطفى الصياد ومعه مسدسة، وفجأة على ناصية شارعى سعد زغلول والروضة وأمام مقهى الاتحاد، تقدم أحد الضباط الإنجليز والذي كان يقود دورية مترجلة وأوقفها، واقتربت سيارة البوليس إلى جوارهما وانطلق الإنجليزى يتحدث إلى زينب الكفراوى باللغة العربية وسألها اسمك إيه فردت عليه بحدة (مش شغلك) فنظر الضابط إلى الطفل الرضيع فى العربة ومد أصبحه لمداعبته فبكى الطفل، وقال الضابط لزينب اسمه إيه فقالت جمال وتبسم الضابط فى برود وقال قريب جمال عبد الناصر، فردت عليه زينب بقوة وحماس كل واحد فى الشعب جمال عبد الناصر علشان كده سميناه جمال، وإلتفت الناس

حولهما ونزل مصطفى الصياد من السيارة وسأل الضابط الإنجليزى عن سبب تعرضه للفتاة فخاف الضابط من التجمهر وقال إن هذا الطفل يشبه ابنا له تركه فى إنجلترا ثم أعطى زينب قطعة من الشيكولاته، فرفضت أخذها منه، ولما ألح عليها ألقتها فى الأرض فنظر إليها فى دهشة وواصل سيره مع دوريته، واستمرت زينب الكفراوى بعربتها وبحملها الثقيل فى السير حتى تمكنت من توصيل السلاح إلى المكان المقصود.

الخنساء فى بورسعيد

السيدة أمينة محمد الغريب قدمت إلى ملحمة النضال البورسعيدى ثلاثة من أبنائها ليكونوا من أنشط وأقدر الفدائيين طوال أيام المعركة ومنهم يحيى وعبد المنعم الشاعر، ولقد لعبت هذه السيدة دوراً هاماً وشجاعاً خلال المعركة، فقد كانت تفتح بيتها للفدائيين فى شجاعة وعزم بل إن كثيرين من المسئولين والمشرفين على المعركة ومنهم السيد سعد عفره واللواء عبد الفتاح أبو الفضل أقاموا فى بيتها أثناء المعركة، بل إنها كانت تحتفظ فى بيتها بجهاز اللاسلكى الوحيد الذى كان الفدائيون يتصلون عن طريقه بالقاهرة. ولم تظهر هذه السيدة أى خوف أو تردد بل كانت تبتسم عندما ينبهونها للخطر المحيط بها فتقول أنا وأولادى ملك للوطن فداء له ولجمال عبد الناصر.

وقد عاشت هذه السيدة البطلة حتى انتصرت بورسعيد ثم أصيبت بالشلل وتوفاها الله، وقد تطهرت مدينتها ووطنها كله من المستعمر والمعتدى.

الوفـاء امـرأة

القت الطائرات البريطانيـة (بودرة البـارود) على كل منازل بورسعيد ثم فجرت هذه البودرة فاشتعلت جميع أسطح المنازل، وقد اشتعلت النيران فى منزل أسرة العقيد على الصفير أحد أبطال المقاومة، فذهب إلى المنزل كمال الصياد والسيد البوحى ويحيى الشاعر ونادوا على سكان المنزل من الشارع بعد أن سقط السلم، وقد استطاعت ابنتهم هنية وشقيقها مختار أن يهبطوا على (ملاءات الأسرة) بعد أن ربطوها كحبل وكان رب الأسرة مصابا بالشلل النصفى مما استحال عليه الهبوط فطلبوا من الزوجة أن تهبط فرفضت وقالت إنها تفضل الموت مع زوجها وسط النيران التى أشعلها المعتدون، وأنها يستحيل أن تترك زوجها الذى قضت معه أحلى أيام العمر وحيداً وسط النيران وفشلت كل محاولات الانقاذ، ومات الزوجان معاً فى عملية وفاء نادرة لزوجة مصرية شجاعة.

إحرقــوا ابنــى الخــائن

مع بداية العدوان الإنجليزى الفرنسى على بورسعيد اشتعلت

المقاومة بكل صورها ودرجاتها بداية من المقاومة السلبية التي تعني عدم التعاون نهائيا مع قوات العدو في أى شيء إلى المقاومة المسلحة. وقد رفض كل الشعب البورسعيدى كافة أنواع التعاون مع العدو المغتصب، ولكن ذلك لا يمنع من وجود بعض (الخائنين)، ومنهم الخائن محمود القاضي الذى قبل التعاون مع الإنجليز لدرجة أنه قد أرشدهم عن بعض مخابئ السلاح في حى العرب كانت مخبأة في بعض المحلات خلف مسجد علوان، وقد اكتشف الأهالي أمر هذا الخائن فتجمهروا حوله وتقدم منه شابان، وضرباه بعنف وهجم عليه الناس وقطعوه إربا ثم أحرقوا جثته أمام جنود الإنجليز، وكان ذلك يوم ٩ نوفمبر على ناصية شارعي عدلي وكسرى، ويؤكد البطل محمد حمد الله أن السيدة والدة هذا الخائن قد شهدت عملية سحل وقتل ابنها بكل الشجاعة بل إنها أعطت الناس (إناء مملوء بالكيروسين) فسكبوه عليه وأحرقوه، ثم ألقوا ما تبقى من جثته في القنال الداخلي ليكون بذلك عبرة لكل من يتعامل مع الأعداء وهذه العملية قد اشترك فيها الرجال والنساء والأطفال وقد قام بها الشعب من تلقاء نفسه.

أم الشهيدين

عندما دخلت الدبابات الإنجليزية إلى شوارع بورسعيد يوم ٦

نوفمبر، وكانت تضرب المدينة بعنف، اندفع البطل يسرى بخيت إلى منزلهم لانقاذ والدته وبالفعل خرج بها حاملا سلاحة بيمينه وأمه إلى يساره إلا أن رصاص المغتدين انطلق عليهما فأراد أن يحمى أمه فسقط شهيداً ونظرت الأم البطلة حولها فى ذهول، ثم ركعت إلى جوار ابنها البطل تحاول ايقاف اندفاع الدم من جسده، وهى تهزه فى لوعة وجزع، وتنادى باسمه الطاهر، وفى وحشية راحت رصاصات العدو تنهمر فى اتجاه الأم الثكلى، فاندفع ابنها الثانى البطل وجدى بخيت إلى أمه وأخيه الشهيد ورفع أمه عن جثة شقيقه، وحاول أن يبتعد بها لانقاذها، وكان زملاؤه الفدائيون يحاولون بقدر الإمكان اطلاق أكبر قدر من النيران لابعاد نيران الأعداء عنها، إلا أن الإنجليز قد ركزوا نيرانهم تجاه هذا المشهد الرهيب، وفجأة انطلقت رصاصات غادرة إلى رأس البطل وجدى فأطاحت بجزء من فروة رأسه وعظامها، فسقط شهيدا تحت قدمى أمه التى كانت تحاول العودة إلى صوابها، وما إن رأت ابنها الثانى يسقط شهيداً حتى وقعت على الأرض مغشيا عليها، فظنها العدو الغادر قد ماتت فأوقف الضرب، ولكن الله كتب لها العمر بعد أن قدمت لمصر شهيدين وأصبحت أم الشهيدين التى تحظى بكل الإجلال والحب.

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٣٧٦ / ١٩٩٨

I.S.B.N 977 - 01 - 5905 - 0



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى ت... وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر ال... التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوز...

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

القراءة للجميع
مهرجان صيف ٩٨
جمعية الرعاية المتكاملة

مائة وخمسون قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب